عدد خاص عن
طوفان الأقصى

مجلة
بيّنات
العدد ١٢

مجلة تصدر كل شهرين مؤقتاً عن :

رابطة علماء المسلمين

عدد جمادى الآخرة ١٤٤٥هـ ::: ديسمبر ٢٠٢٣م

طوفان الأقصى

الخلفيات :: التداعيات :: التوقعات

العقيدة المقدسية

نظرية أمن إسرائيل كيف جرفها الطوفان؟

طوفان الأقصى وتصدع الحلم الصهيوني

طوفان الأقصى
بين رغبات العباد وإرادة رب العباد

هل هناك حقاً دول سنية حتى تدعم القضية الفلسطينية

متى يفيض طوفان الأمـــــــــــــــــة؟

مجلة

بيّنات

تصدر كل شهرين عن
رابطة علماء المسلمين

رئيس التحرير:
د. عبـدالعزيز كامــل

الهيئة الاستشارية:

د. محمــد يســري
د. عـــادل الحـــمد
د. محمد عبدالكريم
د. هشـــام برغـــش
د. حســـن ســـلمان
د. عـادل الشيخاني

التصميم والإخراج الفني:
رونق للخدمات الإعلامية

العدد
١٢

جمادى الثانية ١٤٤٥هـ ::: ديسمبر ٢٠٢٣م

bayyinatre@gmail.com | رابطة علماء المسلمين

موضوعات العدد

:: الافتتاحية:

■ الدين .. وخلفيات الصراع الدائم ..... التحـــــــرير ٤

:: بصائر من خطاب الوحي:

■ وأخرى تحبونها ..... د.خـــير الله طالب ٧

:: قضايا منهجية:

■ أرض الشام منطلق الفتوح ..... أ.د. حكمت الحريري ١٠

■ العقيدة المقدسية ..... د. محمد يسري إبراهيم ١٥

■ عدونا اليهودي والصراع الأبدي ..... د. الحسن بن علي الكتاني ١٩

:: نوازل معاصرة :

■ حكم مولاة الكافرين في الحرب ضد المسلمين ..... عبدالرحمن الناصـــر ٢٧

:: سير أعلام النبلاء المعاصرين :

■ عز الدين القسام لمحات من حياته ودروس من جهاده ..... الشيخ عبدالآخر حماد ٣١

:: بيانات الرابطة :

■ بيان رابطة علماء المسلمين يشأن العدوان على غزة ..... رابطة علماء المسلمين ٣٥

ملف العدد

:: عالمنا الإسلامي :

■ نظرية أمن إسرائيل .. كيف جرفها الطوفان؟! ..... د . عبدالعزيز كامل ٤٠

■ طوفان الأقصى بين رغبات العباد وإرادة رب العباد ..... الشيخ مضر أبو الهيجاء ٤٥

■ طوفان الأقصى .. بين الواقع والمتوقع ..... أ. أنـــور الخضـــري ٥٦

■ طوفان الأقصى .. وتصدع الحلم الصهيوني ..... أ . عامر عبدالمنعـــم ٦٣

■ هل هناك حقاً دول سنية حتى تدعم القضية الفلسطنية ..... أ . ممـــدوح إسماعيل ٦٩

■ لبنان الفردوس الملتهب على أعتاب الطوفان ..... أحمد محمود عمورة ٧٤

■ طوفان الأقصى .. لقطة الحوثيون وحارس الدمار ..... عبدالرحمن الحارث ٨٠

طوفـــان الأقصـــى

:: آخر ورقة :

■ متى يفيض طوفان الأمة ..... د. محمد العبـــدة ٨٦

الدين..
وخلفيات الصراع الدائم

يظن البعض أن تحولاً جديدًا طرأ على مسار المشروع الصهيوني الدائر منذ نحو قرن من الزمان ؛ بعد وصف الرئيس الأمريكي بايدن ـ ثم وزير خارجيته ـ معركة (طوفان الأقصى) بأنها (حرب دينية)..!

واستغرب البعض أيضًا تلك الدعاية الدينية الصارخة لحرب الإبادة الجماعية التي شنتها قوات الإجرام الصهيوني ؛ حين انبعث أشقاها (نتنياهو) ليبشر بأنه وجنوده سيخوضون ضد الفلسطينيين حربًا كتلك التي وردت في (سِفر إشعيا).

والحقيقة أن ذلك الصراع بدأ دينيًا عقائديًا منذ اختيار الذين كفروا من أهل الكتاب لأرض بيت المقدس مكانًا لتحدي الموحدين، واستهداف كرامة المسلمين.

المغضوب عليهم حسموا عقائدية الصراع حين أسموا دولتهم من أول يوم باسم نبي، وهو يعقوب عليه السلام، المسمى أيضًا (إسرائيل).. وهم الذين اتخذوا علمًا رسميًا عليه نجمة منسوبة لنبي ، وهو (داود) عليه السلام ، واختاروا اسمه لعلم الدولة ؛ لأنه أول من أقام دولة تحكمها التوراة ، قبل تحريفها بطبيعة الحال..

وهذه النجمة ترمز من وجه آخر إلى دولة (ابن داود) الذي يزعمون أنه سيكون ملكًا من نسل داود، وهو آخر أنبيائهم، الذي يدعونه (الماشيح) أو المسيح المنتظر، الذي سيأتيهم في آخر الزمان ؛ فيسودون العالم تحت قيادته ..

وانتظار المسيح هذا اعتقاد مشترك بين اليهود والنصارى، لكن مع اختلاف المسمى ، فاليهود ينتظرون مسيحًا يهوديًا خاصًا بهم، بينما ينتظر النصارى عودة المسيح ابن مريم.

وكُلاً من اليهود والنصارى يعتقدون أن عودة المسيح الخاص بكل منهما لا بد أن تسبقها أمور ثلاثة:

الأول: أن تكون لليهود دولة، بعد عودتهم لفلسطين،

والثاني: أن تكون القدس عاصمة هذه الدولة،

والثالث: أن يُعاد بناء هيكل سليمان الثالث، الذي هُدِم قبل الإسلام مرتين .

وهم جعلوا بناء هذا الهيكل ـ على أنقاض المسجد الأقصى ـ أقصى غاياتهم ؛ فهو محور مشروعهم ؛ حتى إن أول رئيس وزراء في كيان العدوان (داود بن جوريون) كان يردد هو ومن بعده عبارة شهيرة تقول : (لا قيمة لإسرائيل بدون القدس، ولا قيمة للقدس بدون الهيكل)..!

وعلم دولتهم الدينية ـ الذي يرفرف على معظم العواصم العربية العلمانية ـ يشير خطّاه الأزرقان إلى أخطر نص في السِفر الأول من التوراة ـ التي يتلوها كفار أهل الكتاب من اليهود والنصارى معًا ـ وهو : [لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ] (سفر التكوين / ١٥: ١٨).

ودولتهم التلمودية تلك... هي الدولة الوحيدة في العالم المعاصر التي لا حدود رسمية لها، بل حدودها المرسومة على عملتها المعدنية الرسمية هي الحدود التوراتية لما يسمى بـ

(إسرائيل الكبرى) من النيل إلى الفرات..

وهذه التوراة ذاتها رغم تحريفها .. هي الدستور الأعلى (غير المكتوب) لتلك الدولة ، فليس عندهم دستور مكتوب ؛ اكتفاءً بعموم التوراة ؛ ولذلك فهذا الكتاب عندهم هو (أبو القوانين) الذي يُسقط كل قانون وضعي يخالفه..!

و(التلمود) ـ الذي يمثل شروحًا للتوراة ـ هو المنهاج الذي يصنع هوية اليهود، ومنهاج دولتهم، ورجال الدين العلماء به هم الذين يتقدمون صفوف جنودهم في حروبهم.

واتخذت هذه الدولة الدينية المعادية شعارًا رسميًا لها وهو (الشمعدان السباعي)؛ الذي يرمز إلى الألْف السابع والأخير في تاريخ العالم قبل نهاية الزمان، والذي يسمونه : (الألفية السعيدة) التي يعدونها ألفيتهم ؛ عندما يكونون هم سادة الأرض ، بعد هلاك ثلثي سكان العالم، وهذا الشعار يوضع بلا خجل على المنصات الرسمية عند إلقاء أية (كلمات دبلوماسية)..!

لكل ذلك فإن هؤلاء التوراتيين التلموديين ـ وأنصارهم من النصارى الإنجليين ـ كانوا ولا يزالون ، وسيظلون.. يحاربوننا حروبًا دينية ؛ تستهدف في المقام الأول ديننا قبل أرضنا، وهويتنا قبل ثرواتنا ..

وعندما وصف راعي اليهود الأكبر الأحمق الحالي (يوسف بايدن) الحرب الأخيرة بأنها (حرب دينية) كان يعني ما يقول ؛ باعتبار أن مخرجات تلك الحرب لا بد أن توجّه لحساب الدين عندهم وضد الدين عندنا.

وقد سبقه (جورج بوش ـ الابن) عندما قال عن حربه في العراق وأفغانستان : (إنها حرب صليبية)..!

وقبل ذلك وبعده ؛ فقد كشف الوحي المُنزَّل عن حقيقة صراعهم الديني الدائم ؛ في قول الله عز وجل: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. (البقرة : ٢١٧)

وقال العليم الخبير ـ أيضًا ـ : ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة : ١٢٠).

فاللهم ، اجمع الأمة تحت راية القرآن ؛ في مواجهة حشود البغي والعدوان.

***

د. خير الله طالب

وأخرى تحبونها

كأنك بحبيبك صلى الله عليه وسلم يمرّ بعمار بن ياسر وأمه سميّة رضي الله عنهما يعذبون فلا يملك إلا أن يقول: (صبراً آل ياسرٍ، فإنَّ موعدَكم الجنةُ) . يعلّق نفوسهم بالغايات العليا والفوز الكبير العظيم الذي وُعِد به المتاجرون مع الله تعالى في سورة الصف، لكن الله لم يحرم أحبابه مما تحبه نفوسهم قبل الفوز بالجنة: ﴿وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب﴾ (سورة الصف :١٢).

يسير المؤمنون نحو الفوز الأخروي متنعمين بأنواع من الانتصار، كانتصار الاستقامة على الطريق رغم غربة الطريق وقلة السائرين، دون التفات إلى المخالفين والخاذلين، وانتصار الثبات والتضحية بالنفس لما هو أنفس، وحماية الله المؤمنين بعصمتهم من الكافرين حتى لا يكون لهم عليهم من سبيل، ثم إهلاك الظالمين وإنجاء المؤمنين، وأخيرا

نصر العزة والتمكين في الأرض وفتح البلاد وإيتاء الملك.

بين يدي الفتح المبين ابتلاءٌ اصطفاءٍ للصادقين المتبعين رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين أحبهم الله وغفر ذنوبهم، وازداد يقينهم وتصديقهم بوعد الله في أحلك الظروف. وقد يكون ذلك الاصطفاء عاجلا بالشهادة، أو متأخرا بالتمحيص والتخليص من عوائق النصر.

يبدأ النصر في أخذ الكتاب بقوة من قوم يهدون بأمر الله لمّا صبروا، وكانوا بآيات الله يوقنون، لا ينسون حظّا مما ذكّروا به فتحلّ بينهم العداوة والبغضاء، وهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويتحركون بهوية بيضاء وحق أبلج يقذف الله به على الباطل فيدمغه بصفائه ونقائه.

ويمهل الله عباده حتى تسلم قلوبهم من إرادة الجاه والمال والراحة والانتقام، وتزكو نفوسهم من استعادة الظلم بثوب جديد، وحتى تتكون الكتلة المتماسكة القادرة على حماية النصر واستثمار الفتح، وتتسع دائرة الصلاح فيأمن الناس بعضهم بعضا، وتشيع الثقة بأهل الدين، ويتساءل الناس عن سر ثباتهم، ويكثر أنصارهم في العالم.

وقد مضى جماعات من المؤمنين منذ بدء الخليقة منصورين، ثابتين على دينهم رافعي الرؤوس، ممهّدين لانتصار من يجيء من بعدهم على طريقهم، يتخذهم الله شهداء يغبطهم الأحياء، ويميز الله الخبيث من الطيب، ويقيم الله حجته على خلقه، ويزيد الكافرين كفرا وعذابا.

إذا أقام الناس دينهم أقام الله لهم دنياهم، ففتح عليهم بركات من السماء والأرض، فأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، فأغناهم الله من بعد عيلة، وأنزل عليهم السكينة فآمنهم من بعد خوف، وألّف بين قلوبهم، فينقل الله الخوف من قلوبهم إلى قلوب أعدائهم فيهابونهم.

وقد تكون عطاءات الله تعالى لأوليائه في ثوب منع وحرمان، يحميهم به من الزيغ والتباس الحق والاستسلام وعوامل الترهل، ويحمي قلوبهم من التعلق بالأنصار والحلفاء والمكتسبات والمنجزات، فينطق شعارهم: (وإنه لجهاد، نصر أو استشهاد).

يمتحن الله عباده بتأخير النصر وتأجيله لحكم بالغة ومصالح للعباد يدركون بعضها ويخفى عليهم كثير. يختبر تصديقهم باسمه تعالى (النصير)، ووعده الذي لا يخلف. ويمهل الله عباده حتى تسلم قلوبهم من إرادة الجاه والمال والراحة والانتقام، وتزكو نفوسهم من استعادة الظلم بثوب جديد، وحتى تتكون الكتلة المتماسكة القادرة على حماية النصر واستثمار الفتح، وتتسع دائرة الصلاح فيأمن الناس بعضهم بعضا، وتشيع الثقة بأهل الدين، ويتساءل الناس عن سر ثباتهم، ويكثر أنصارهم في العالم. (ولكنكم تستعجلون) ، فلا زال أناس لا يحركهم

إلا النصر الخاطف والنعيم السريع، يطلبون النصر بلا دماء ولا أشلاء، وكأنهم ولدوا بلا مخاض، أو كأنما ولدوا كبارا، لا يفقهون مرحلية، ولا يفهمون واقعية، أطفال في جسوم كبار.

أما من تشكك في الوعد أو تلكأ في الاتباع فقد نقص صدقه وجديته وعزمه بمقدار ما نقص من تصديقه واتباعه، وحينها فقد يتعرض لابتلاء العقوبة لعله يرجع إلى ربه ويراجع طريقه، وهذا سرّ طول الطريق الذي تعاني منه الأمم. أما من استحكمت فيه الغفلة أو غالبه النفاق فما فهم الرسالة ولا استوعب الدرس فاستوجب المحق.

يتجسد ما نحب اليوم بأكناف بيت المقدس، منذ طوفان الأقصى، ثم آية الثبات البطولي الذي زلزل أصنام القوة المادية، وأثار العالم باحثا عن الإسلام، واصطف له الأخيار في مواجهة الأشرار، وانكشف لكثيرين أقنعة العلمنة الغربية وادعاءات الزندقة الصفوية، واكتشف الضعفاء قوتهم في منازلة الأقوياء بالأسلحة المعنوية قبل المادية، وثارت ثائرة العزة والكرامة لدى الصغير والكبير يترقبون بيانات الانتصار والاندحار.

أشكال من النصر جاءت كمعاني النصر الذي يعبّر عن السقيا والغوث والعطاء، وهو في القرآن يفيد المنع، والعون، والظفر، والانتقام، كما يعبر عنه بالروح، ويأتي بلفظ الحسنة، وبمعنى الفرقان بين الحق والباطل.

معاني كبيرة من تلك (الأخرى) التي نحبها (نصر من الله)، وهي بإذن الله مقدمات (فتح قريب) لا سبيل إليه إلا بدوام نصرة الدين وأهله، ولو كنت وحدك، ولو حفرت لك الأخاديد، وضُربت عليك الجُدُر العازلة.

❋❋❋

أ.د.حكمت الحريري

أرض الشام منطلق الفتوح

وصف القرآن الكريم أرض الشام بالبركة في أربعة مواضع ، وكان التعبير عن بركتها الربانية بالفعل الماضي ، الذي يفيد الثبات والاستقرار، فجعلت فيها البركة ثابتة ومستقرة إلى قيام الساعة .

وهذه المواضع هي :

قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ (الإسراء :١)

وقوله تعالى:﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء : ٧٠ ـ ٧١)

وقوله: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ (الأنبياء : ٨١)

وقوله :﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ( ) سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ (سبأ : ١٨)

قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا﴾(الأعراف : ١٣٧)

وقد صدقت السنة النبوية حديث القرآن عن البركة الموضوعة في الشام إلى آخر الزمان .

_ فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بينا أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي فظننت أنه مذهوب به فأتبعته بصري فعُمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حيث تقع الفتن بالشام)

(رواه أحمد في المسند ، وصححه الألباني في أحاديث فضائل الشام) .

وعن سالم بن عبد الله عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ستخرج نار في آخر الزمان من حضرموت تحشر الناس ، قلنا فماذا تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : عليكم بالشام » (رواه أحمد والترمذي وابن حبان)

وعن عوف بن مالك قال : أتيتُ رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلم وهو في بناءٍ له فسلمتُ عليه فقال: يا عوفُ ، قلتُ : نعم يا رسول الله، قال: ادخلْ ، قلتُ : كلِّي أو بعضي ؟ قال : بل كلَّك ، فقال : اعددْ يا عوفُ ستًّا بين يدَي الساعةِ : أولهنَّ موتي ؛ فاستبكيتُ حتَّى جعل يسكتُني ؛ قال: قلتُ : إحدَى . والثانيةُ فتحُ بيتِ المقدسِ . قلتُ : اثنتين ، والثالثةُ مُوتانٍ يكونُ في أمتي يأخذُهم مثل قُعاصِ الغنم ، والرابعةُ فتنةٌ تكونُ في أمتي وعظمُها ، والخامسةُ يفيضُ فيكم المالُ حتَّى إنَّ الرجلَ ليعطَى المائةَ دينارٍ فيسخَّطُها ، والسادسةُ هدنةٌ تكونُ بينكم وبين بني الأصفرِ فيسيرونَ إليكم على ثمانينَ غايةٍ ؛ قلت وما الغاية ؟ قال : الراية ، تحت كلِّ راية اثنا عشرَ ألفًا)

أحمد وابن ماجه .

وعن زيد بن ثابت ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يا طوبَى للشَّامِ ، يا طوبَى للشَّامِ ، يا طوبَى للشَّامِ ، قالوا يا رسولَ الله وبم ذلك ؟ قال : تلك ملائكةُ اللهِ باسطو أجنحتِها على الشَّامِ « (الترمذي وأحمد)

_ وعن شعبة عن معاوية مرفوعًا : « إذا فسَدَ أهلُ الشَّامِ فلا خيرَ فيكم ؛ لا تزالُ طائفةٌ من أُمَّتي منصورينَ، لا يضُرُّهم مَن خذَلَهم حتَّى تقومَ السَّاعةُ « (رواه الترمذي وأحمد وابن ماجه)

وعن عبد الله بن حوالة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ستجندون أجنادًا ، جندًا بالشام ، وجندًا بالعراق ، وجندًا باليمن) قال عبد الله : فقمت فقلت : خِر لي يا رسول الله ؛ فقال : (عليكم بالشام فمن أبى فليلحق بيمنه وليستقِ من غدره ، فإن الله عز وجل قد تكفل لي بالشام وأهله)

قال ربيعة : فسمعت أبا إدريس يحدث بهذا الحديث يقول : من تكفل الله به فلا ضيعة عليه . (اخرجه الحاكم وأحمد وأبو داود)

وعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال :» قلت يا نَبيَّ اللهِ، ما كان أوَّلُ بَدءِ أمْرِكَ؟ قال: دَعْوةُ أبي إبراهيمَ، وبُشرى عيسى، ورَأَتْ أُمِّي أنَّه يَخرُجُ منها نورٌ أضاءَتْ منه قُصورُ الشَّامِ» . (أخرجه الألباني في السلسله الصحيحة ١٥٤٥)

ـ وعن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الشام أرض المحشر والمنشر) (رواه أحمد في المسند)

وقد قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لكعب الأحبار: ألا تتحول إلى المدينة ؟ فقال يا أمير المؤمنين إني أجد في كتاب الله المنزل أن الشام كنز الله في أرضه ، وبها كنزه من عباده . (كنز العمال ١٤/ ١٤٣) .

وذكر ابن عطية ـ في المحرر الوجيز ـ عند تفسير قول الله تعالى : ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء : ٧١) أن الأرض التي بورك فيها ونجى الله إليها إبراهيم ولوطًا ـ عليهما السلام ـ أرض الشام ، وهي الأرض التي بارك الله فيها ، أما من جهة الآخرة فبالنبوة والإيمان ، وأما من جهة الدنيا فهي أطيب بلاد الله أرضًا وأعذبها ماءً ، وأكثرها ثمرة ونعمة ، وهو الموضع المعروف بسكنى إبراهيم وعقبه ، وهي أرض المحشر وفيها يجمع الناس ، وفيها ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام ، وبها يُهلك المسيح الدجال . (انظر المحرر الوجيز)

هذا... ولا نريد في هذه المقالة استقصاء وجمع النصوص كلها في فضل وبركة بلاد الشام ؛ فإن لذلك مواضع أخرى ؛ إذ أفردها بعض العلماء بكتب وأجزاء مستقلة، وإنما أردنا ذكر ما له علاقه بموضوع البحث ههنا .

وفيما يلي أذكر بعون الله وحسن توفيقه شذرات من الأحكام والدروس والمواعظ والعبر التي يمكن استنباطها من خلال نصوص الكتاب والسنة:

١ـ إن بلاد الشام هي الأرض التي جعلها الله مباركة ، وقد ذكرت آنفا من الأدلة على ذلك ، ومما لم نذكره ودعا النبي صلى الله عليه وسلم لها بالبركة : « اللهم بارك لنا في شامنا ويمننا» رواه: الإمام أحمد .

فالبركة ثابتة فيها ومستقرة في أرضها وثمارها ومياهها وأهلها ومناخها ، وقد ترى ما يعكر صفوها ويكدر على بركتها فساد بعض الناس ممن تمكن من الحكم فيها أو من كان له سلطان ، وهذا مصداق قول الله تعالى : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم : ٤١) .

٢ ـ بلاد الشام هي أرض المحشر والمنشر ، فقد قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ (الحشر : ٢) .

قال أهل التفسير : لما نقض يهود بني النضير العهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتآمروا على قتله أجلاهم بعد الحصار أيامًا من المدينة، فكان منهم طائفة ذهبوا إلى أذرعات من أعالي الشام ، وهي أرض المحشر والمنشر ، ومنهم طائفة ذهبوا إلى خيبر .

قال ابن عباس : من شك أن المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية ؛ فكان أول حشر إلى الشام ، قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : اخرجوا، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر « (أخرجه البزار وغيره) ، ثم يحشر الخلق يوم القيامة إلى الشام.

وقال قتادة: كان هذا أول الحشر ، والحشر الثاني نار تخرج من المشرق إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا (انظر تفسير البغوي)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: نبه على الحشر الثاني ؛ فمكة مبدأ وإيلياء معاد في الخلق ، وكذلك بدأ الأمر ؛ فإنه أسري بالرسول من مكة إلى إلياء ومبعثه ومخرج دينه من مكة وكمال دينه وظهوره وتمامه حتى يملكه المهدي بالشام ؛ فمكة هي الأول والشام هي الآخر في الخلق والأمر في الكلمات الكونية والدينية .

(مجموع الفتاوى ٢٧ / ٢٢٤)

٣ ـ بلاد الشام من أهم الاقاليم الجغرافيه والأكثر شهرة في العالم القديم والحديث : فهي البلاد التي نجى الله إليها إبراهيم ولوطًا ـ عليهما السلام ـ ففي تفسير قوله تعالى لقول إبراهيم : ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ [العنكبوت: ٢٦]

قال قتاده هاجرا من « كوثا » وهي قرية من سواد الكوفة إلى « حران » ، ومرّا بمصر حتى جاءا الشام ؛ فنزل إبراهيم السبع من أرض فلسطين ، ونزل لوط بالمؤتفكة ، وإبراهيم أول من هاجر من أرض الكفر . (انظر تفسير القرطبي ، والمحرر الوجيز لابن عطية) .

وفي بلاد الشام الطور الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام ﴿وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴾ (الطور :١ ـ ٢) ، ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ﴾ (مريم : ٥٢) ، ولما حضره الموت سأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو شئتم ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق إلى جنب الكثيب الأحمر». (رواه البخاري ومسلم)

ودعا موسى عليه السلام قومه إلى دخول الأرض المقدسة ـ أرض الشام ـ : ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (المائدة : ٢١).

وأسري بالنبي صلى الله عليه وسلم من البيت الحرام إلى المسجد الأقصى بالقدس ، أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ (الإسراء : ١) قيل من البركة فيه بمن دُفن حوله من الأنبياء والصالحين وبهذا جعله مقدسًا .

٤ـ فتحت بلاد الشام في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة أربع عشرة من الهجرة .

وقد فتح دمشق القائد الإسلامي أبو عبيده بن الجراح من جهة باب يقال له « باب الجابية» فتحها صلحًا بعد حصار دام سنة ، ودخل خالد بن الوليد من جهة باب شرقي بغير صلح ، فأجاز أبو عبيدة الصلح في جميعها ، وكتبوا إلى عمر بن الخطاب فأجاز ما عمل به أبو عبيدة ، رضي الله عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقسّم المسلمون بلاد الشام إداريًا إلى أربعة أجناد : جند دمشق ، وجند حمص ، وجند الأردن ، وجند فلسطين .

٥ـ شهدت بلاد الشام أحداثًا جسامًا في تاريخ البشرية ووقائع دامية كتب عنها العلماء والمؤرخون وكبار الساسة قديمًا وحديثًا.

منها الحملات الصليبية التي استمرت أكثر من قرنين ، وكانت النهاية هزيمة الصليبيين على يد البطل الإسلامي صلاح الدين الأيوبي في معركه حطين الشهيرة ، وما زالت آثار الحملات الصليبية ماثلة في نفوس كثير من الأوروبيين إلى زماننا هذا ؛ كما يقول الكاتب الإسلامي الأستاذ محمد أسد : « ما زال شبح الحروب الصليبية يخيم على الغرب» .

ومنها الغزو التتاري المغولي ، حيث انطلقوا من جهه المشرق «منغوليا» واجتاحوا بغداد ـ عاصمة الخلافة العباسية ـ وسقطت الخلافه الإسلامية لأول مرة في التاريخ ٦٥٦ هـ ، ثم استمر التتار متوجهين نحو المغرب إلى بلاد الشام فخذلهم الله لأول مرة منذ اجتياحهم بلاد الإسلام ، فكانت أول هزيمة لهم في معركة» شقحب « بالقرب من قرية مشهورة في إقليم حوران تدعى « غباغب « ، وكان من أشهر القادة فيها شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني رحمة الله عليه .

والهزيمة الكبرى للتتار كانت في « عين جالوت « في عهد السلطان قطز ، والظاهر بيبرس .

٦ـ بعدما ضعفت الخلافة العثمانية وتسلط الغرب على تركة « الرجل المريض « ؛ تم تقسيم الممالك التابعة للخلافة العثمانية ، وكانت أكبر إمبراطورية إسلامية امتد سلطانها على كافة قارات الكرة الأرضية تقاسمت الدول الأوروبية الغربيه بلاد المسلمين ، واتبعوا في ذلك مبدأ (فرق تسد) .

وقد كان أقليم بلاد الشام إقليمًا واحدًا فقسمه الإنكليز والفرنسيون إلى أربع دول : سوريا ولبنان تحت سيطرة الفرنسيين ، والأردن وفلسطين تحت سيطرة الإنكليز ؛ وذلك على إثر مؤتمر أو اتفاقية (سايكس بيكو) ١٩١٦ م.

وفي سنة ١٩٢٠م أصبحت سورية خاضعة لما يسمى الانتداب الفرنسي ، ولكنّ العلماء والمخلصين المؤمنين من أهل سورية رفضوا الاستكانة والخضوع ؛ فأعلنوا الجهاد ضد الغزاة الفرنسيين ، وبقي شعب سورية في حالة جهاد ؛ حتى أجبروا الفرنسيين على الجلاء سنة ١٩٤٦م .

لكنّ الفرنسيين لحقدهم وغيظهم على أهل السنة في سورية جعلوا زمام الأمور بيد التابعين لهم من العلمانيين والأقليات الطائفية ، وما زال شعبنا يعاني إلى اليوم مرارة الغزو الفرنسي .

وفعل الإنكليز في فلسطين أشد وأنكى ؛ فعملوا على إنشاء دولة لليهود منذ وعد (بلفور)وزير الخارجية البريطاني سنة ١٩١٦م .

وتم لليهود قيام الدولة سنة ١٩٤٨ م ، بعد نكبة وإجلاء أهل فلسطين ؛ حيث طردوا أكثر من ثمانمائة ألف خارج حدود بلادهم ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون ..

وما زال الشعب الفلسطيني في حالة من الصراع والجهاد على أمل تحرير بلادهم .

❋❋❋

العقيدة المقدسية

د. محمد يسري

الحمد لله ناصر المؤمنين، وصلى الله وسلم وبارك على نبي الرحمة ونبي الملحمة، وعلى آله وصحبه الغُر الميامين، أما بعد:

فهذا متن العقيدة المقدسية، يميط اللثام عن منزلة القدس والأقصى في معتقد أهل الإسلام، نسأل الله أن يحرره عاجلًا غير آجلٍ بأيدي عباده المؤمنين، وجنده المفلحين، آمين.

١- يعتقد المسلمون أن الإسلام العام هو دين أنبياء الله كافة، وقد قال تعالى لنبيه إبراهيم عليه السلام : ﴿إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين﴾ [البقرة: ١٣١]، وبالإسلام أوصى إبراهيم ويعقوب عليهما السلام فقالا: ﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وقال موسى عليه السلام: ﴿ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾ [يونس: ٨٤]، وقال الحواريون

لعيسى عليه السلام: ﴿قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون﴾ [آل عمران: ٥٢].

ويعتقدون أن الرسالة الخاتمة هي الإسلام، قال تعالى: ﴿ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ [المائدة: ٣]. فلا يسع أحدًا أن يتدين بغيره قال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل من﴾ [آل عمران: ٨٥].

٢- يعتقد المسلمون ويؤمنون بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وعلى هذا اتفقت كلمتهم واجتمعت أئمتهم وتلقاه خلفهم عن سلفهم، قال تعالى: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وفي الحديث: «الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ).

٣- يعتقد المسلمون أن المسجد الأقصى هو الواقع بالقدس الشريف من أرض فلسطين الداخلة في الأرض المباركة الكائنة في الجنوب الغربي لبلاد الشام)، وهي الأرض التي نجَّى الله إبراهيم ولوطًا عليهما السلام إليها، قال تعالى: ﴿ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾ [الأنبياء:٧١].

فعقيدة المسلمين أن أرض الأقصى هي أشرف بقعة في الأرض بعد مكة والمدينة حرسهما الله تعالى. كما يعتقدون أن أرض الشام هي أرض المحشر والمنشر، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولِ اللهِ: «الشَّامُ أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ).

٤- يعتقد المسلمون أن الأقصى قبلة المسلمين الأولى، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى قِبَلَ بيت المقدس ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا). ويعتقدون أنه ثاني مسجدٍ وُضع في الأرض، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله، أي مسجدٍ وُضع في الأرض أول؟ قال: الْمَسْجِدُ الحَرَامُ. قال: قلت: ثم أي؟ قال: الْمَسْجِدُ الأَقْصَى. قلت: كم كان بينهما؟ قال: أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ، فَإِنَّ الفَضْلَ فِيهِ).

٥- يعتقد المسلمون أن الأقصى مما يستحب السفر إلى زيارته وشد الرحال إليه لبركته، ففي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال: (لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى).

ويعتقدون أن الصلاة فيه مضاعفة الثواب، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: (تذاكرنا ونحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أيهما أفضل: مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مسجد بيت المقدس؟ فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : «صَلَاةٌ فِيْ مَسْجِدِيْ هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ فِيْهِ، وَلَنِعْمَ الْمُصَلَّى هُوَ).

٦- يعتقد المسلمون أن الإسراء بنبينا صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في بعض ليلة حق، وأنه صلَّى فيه بالأنبياء إمامًا، ثم عُرِج به إلى السماوات العلا حيث انتهى إلى سدرة المنتهى، قال تعالى: ﴿سبحن الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾ [الإسراء:١].

وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال: (أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ).

٧- يعتقد المسلمون أن الرباط ببيت المقدس وحوله من أعظم الرباط في سبيل الله! ففي الحديث: (وَلَيُوشِكَنَّ أَنْ لَا يَكُونَ لِلرَّجُلِ مِثْلُ شَطَنِ فَرَسِهِ مِنَ الْأَرْضِ حَيْثُ يَرَى مِنْهُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا. أو قال: خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا).

وعن معاوية رضي الله عنه ، يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول: (لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، قال معاذ بن جبل: وَهُمْ بِالشَّأْمِ).

٨- يعتقد المسلمون أن الإسلام هو هوية القدس، وأن القدس جزءٌ أصيلٌ من هوية المسلمين، وبانتقاص الأرض المباركة فإن العقيدة والشريعة والتاريخ والمواثيق تأمر باستعادتها عبر جهاد مشروع، بل مفروض!

وقد تقرر في محكمات دين المسلمين أن بلادًا أُسري إليها بنبيهم صلى الله عليه وسلم ، وحكمها المسلمون منذ فتحها الفاروق عمر ÷، هي من بلاد المسلمين، ولو غلب عليها الأعداء الغاصبون مدةً من الزمان.

٩- يعتقد المسلمون أنه لا حق لليهود المحاربين المغتصبين في فلسطين عامةً، ولا في القدس خاصةً، ولا في الأقصى مطلقًا، فهي أرض نزلها الكنعانيون العرب وعاش عليها الشعب الفلسطيني من قبل ومن بعد، وعلى مدار قرون متعاقبة من حكم الإسلام لبيت المقدس عاش يهود مع نصارى مع مسلمين،

فلم يُظلم أحد أو يتعدى على حرمته، فلما اغتصبه المعتدون عاثوا فيه فسادًا، فصار قتال المغتصبين حقًا تثبته الشريعة الإلهية والمواثيق الدولية.

١٠- فلسطين وبيت المقدس أرض إسلامية، لا يملك أحد كائنًا من كان أن يتنازل عن شبر منها، ومن فعل فقد خان أمانته، وصنيعه هذا باطل مردود، يبوء بخزيه في الدنيا والآخرة، ولا يلزم الأمة في قليل ولا كثير، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله ورسوله وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾ [الأنفال: ٢٧].

١١- يعتقد المسلمون أن تسلط اليهود- الساعين لهدم الأقصى- على أهل الإسلام اليوم بما كسبت أيدي المسلمين، وبما وقع من ولاء المنافقين، وأن الله ابتلاهم باحتلال شراذم اليهود للأقصى،

وأنهم طال الزمان أم قصر سيحررون مسجدهم، ويقاتلون عدوهم، وأن حصونهم وجُدُرَهم ليست بمانعتهم من الله شيئًا، وأن أهل الإسلام سيسوءون وجوه الصهاينة اليهود في آخر الأمر بدخول المسجد كما دخلوه أول مرة، ويتبرون ما علوا تتبيرًا! قال تعالى: ﴿فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيراً﴾ [الإسراء:٧].

١٢- يعتقد المسلمون أن الصراع مع اليهود المعتدين ممتد إلى قرب قيام الساعة، وليس في هذا استنامة أو تقاعس عن واجب جهاد المغتصبين بكل سبيل سياسي وإعلامي وعسكري، ومقارعتهم وإخراجهم من الأقصى وبيت المقدس وإزالة دولتهم، فإن قتالهم بالأمر الشرعي الإلهي البات الجازم، هو ما يمتثله المسلم في كل زمان ومكان بحسب قدرته واستطاعته، والخطاب في هذا كما يتوجه إلى الأفراد والهيئات، يتوجه كذلك إلى الدول والحكومات، ومن باع بيت المقدس بعَرَضٍ من الدنيا لن يشتريه بالدماء!

١٣- يعتقد المسلمون أنه لا تنقضي الدنيا حتى تعود خلافة راشدة على منهاج النبوة، وتقع لليهود ذلّةٌ ومقتلة، ونصرة للمسلمين وكرامة، وفي الحديث: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ، يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ).

وذلك وعد غير مكذوب.

﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وأن جندنا لهم الغالبون﴾ [الصافات:١٧١-١٧٣].

والحمد لله رب العالمين

***

د. الحسن بن علي الكتاني

عدونا اليهودي والصراع الأبدي

المستقرئ للكتاب والسنن والآثار، والمطلع على أسفار أهل الكتاب، هودا كانوا أم نصارى، ليلحظ أمرا عجيبا، وهو أن الله تبارك وتعالى قسم العالم كله من لدن آدم عليه السلام إلى أن يرث الأرض ومن عليها إلى مقدمة ووسط وخاتمة.

فالمقدمة كانت مع بدء الخلق ووجود آدم عليه السلام إلى مجيء إبراهيم الخليل عليه السلام، الذي جعله الله للناس إماما، ووعده بأن تبقى الإمامة في الصالحين من ذريته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وهذه الإمامة اختص الله تعالى بها بني إسرائيل من ذريته، وهم بنو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، عليهم جميعا الصلاة والسلام. فاصطفاهم الله تعالى وأعطاهم ما لم يعط أحدا من العالمين. إلى أن نقضوا عهودهم فلعنهم الله وغضب عليهم، ونقل عهده لبني عمهم، بني إسماعيل عليه السلام، فآل الأمر كله لسيد آل إبراهيم، بل سيد بني آدم، وخير خلق الله، محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وسلم. وهو خاتمة البشرية التي أرادها الله تعالى، وهي ممتدة إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يطوى سجل الحياة الدنيا.

ومن هذا يتبين لنا أن الإسرائيليين كانوا أول أمرهم أولياء الله وخاصته، ثم أضحوا بعد ذلك أعداءه والمبعدين عنه، وكان السبب في ذلك جريمتهم النكراء تجاه نبي الله تعالى المسيح عليه السلام، ثم تم الأمر بمحاربتهم لرسول الله، محمد صلى الله عليه وسلم.

إن بني إسرائيل ثم اليهود الذين تابعوهم كانوا في نعم عظيمة مَنَّ الله تعالى بها عليهم وفضلهم بها على العالمين، وأي نعمة أعظم من نعمة الهداية؟ إذ جعل فيهم الكتاب، وكانت تسوسهم الأنبياء كلما مات نبي خلفه نبي آخر، وقد قال الله عز وجل ممتنا عليهم :(يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) (البقرة:٤٧) فذكر بعض نعمه عليهم -ونعمه على العباد لا تعد ولا تحصى-. - فقد نصرهم على أعدائهم ونجاهم من فرعون وجنوده، وهداهم سبل السلام بإنزال الكتاب والفرقان، وعفا عنهم بعدما استحقوا العذاب بكفرهم بعد إيمانهم، وأطعمهم من السماء وأنزل عليهم المن والسلوى، وسقاهم من الحجر الأصم.

لكن سرعان ما انقلب الحال وحل عليهم سخط الرب سبحانه ولعنته وغضبه، وذلك لأفعال اكتسبوها وذنوب اقترفوها ، وأول هذه الذنوب كفران نعمة الله تعالى وتبديلهم وعدم شكرها، قال تعالى : (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) (إبراهيم:٧) فلم يشكروا نعم الله بل لم يعترفوا بها؛ إذ كلما جاءتهم نعمة لم يقنعوا بها واحتقروها أو طمعوا في غيرها، قال تعالى :(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) (البقرة:٦١).

وهكذا صنعوا مع جميع النعم التي خصوا بها؛ فالأنبياء قتلوهم والكتاب الذي نزل عليهم حرفوه وزادوا ونقصوا؛ فاستحقوا غضب الرب سبحانه ولعنته وسخطه وضربت عليهم الذلة والمسكنة.

وإن من أسباب غضب الرب عز وجل على اليهود السكوت عن المنكرات، قال الله تعالى : (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) (المائدة:٧٨-٧٩) فقد لعنوا واستحقوا الطرد من رحمة الله لعصيانهم

واعتدائهم ومن أظهر مظاهر عصيانهم تركهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكان أحبارهم فضلا عن عامتهم مفرطين في هذا الباب أيما تفريط، (لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ).

وأكثر من ذلك كانوا يضيقون على من كان يغار على حرمات الله ويأمر بالطاعات وينهى عن مبارزة الله تعالى بالمعاصي، وينهونه ويزجرونه يقولون عليكم أنفسكم، (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ).

وإن من أظهر المنكرات التي تواطؤوا عليها أكلهم السحت وهو الربا، ومن أظهرها التحايل على شرع الله تعالى، كما في قصة أصحاب السبت، وكما قصة تحريم الشحوم عليهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لعن الله اليهود، حُرِّمت عليهم الشُّحومُ، فَجَمَلوها، فباعوها» ، فما أقبحها من معصية وما أجرأ اليهود على أحكام الله تعالى، ولقد كان هذا التحايل سببا آخر من أسباب حلول لعنة الله عليهم.

وأكثر من كل ذلك كانوا يقتلون الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، الأنبياء وورثة الأنبياء القوالين للحق والذين لا يخشون في الله لومة لائم، لذلك قال الله تعالى فيهم (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (آل عمران:٢١).

هكذا كانوا يقتلون الناس الذين يريدون لهم الخير خير الدنيا والآخرة، الذين ينصحونهم ويذكرونهم، لهذا كانوا حقا هم المغضوب عليهم.

غير أن قائلا قد يسأل عن سبب اصطفائهم أولا؟ والجواب هو:

أن الله تعالى هيأ لهذه الأمة الخاتمة للأمم جميع أسباب النجاح، بما لم يكن لأمة سبقت ولا لشعب مضى، ولذلك فإن الأمة المحمدية وإن كانت آخر الأمم في زمانها فهي الأولى يوم القيامة، وهم أكثر أهل الجنة، وخير أمة أخرجت للناس.

وقد قال الله تعالى : (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ). [آل عمران: ١١٠].

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد كل أمة أوتوا الكتاب من قبلنا أوتينا من بعدهم» .

وفي رواية أخرى عند مسلم عن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما بلفظ: «نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق» .

وقد امتلأت أسفار أهل الكتاب بالبشارات التي تبشر بمجيئ رسول الله صلى الله عليه وسلم، مما كان محفزا لهم كي ينتظروا بفارغ الصبر مجيئ هذا النبي الموعود، حتى إن اليهود الذين كفروا بعيسى بن مريم، عليهما السلام، كانوا مع ذلك ينتظرون نبيا موعودا ويعرفون مكان وزمان خروجه، مما حفز جماعة منهم للهجرة للديار التي سيخرج منها مثل تيماء وسلع، وما إلى ذلك مما ورد

في أسفارهم.

كما أنهم كانوا يتوعدون أعداءهم من مشركي العرب بقرب ظهور هذا النبي، وأنهم سيتبعونه ويقتلونهم شر قتلة. وقد كان أحبارهم وربانيوهم على علم دقيق بذلك. والظاهر أن اليهود لم يتوقعوا أن يكون النبي الجديد من غيرهم، فلما جاءهم وقرأ عليهم القرآن وذكرهم بما عندهم من العلم، وتأكدوا من صدقه وأنه الذي يجدونه في كتبهم كفروا به بما جاءهم من الحق، ونفر أكثرهم منه، إلا القليل ممن اهتدى للصراط المستقيم، وصدق في اتباع نبيه وكتاب ربه سبحانه.

ولم يكتفوا بذلك، بل عمدوا للمشركين عباد الأصنام وتعاونوا معهم ضد هذا النبي الكريم، صلى الله عليه وسلم، الذي يوقنون بصدقه وأنه الذي وعدهم به ربهم وبشرت به أنبياؤهم، عليهم السلام.

وقام القوم وقعدوا في الصد عن سبيل الله، وأشعلوها حربا شعواء ضد الحق، كفرا بالله تعالى وبكتابه ورسله عليهم السلام. فازدادوا كفرا على كفرهم، ولعنة على لعنتهم، وكبرت الهوة بينهم وبين ربهم سبحانه الذي كان في وقت من الأوقات حبيبهم وكانوا هم شعبه المختار.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. [البقرة: ٨٩].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيرها: «وقد كانوا من قبل مجيء هذا الرسول بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين إذا قاتلوهم، يقولون: إنه سيبعث نبي في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم، كما قال محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر عن قتادة الأنصاري، عن أشياخ منهم قال: قالوا: فينا والله وفيهم يعني في الأنصار وفي اليهود الذين كانوا جيرانهم، نزلت هذه القصة يعني: ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ﴾ قالوا كنا قد علوناهم دهرا في الجاهلية، ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب، فكانوا يقولون: إن نبيا من [الأنبياء] يبعث الآن نتبعه، قد أظل زمانه، نقتلكم معه قتل عاد وإرم. فلما بعث الله رسوله من قريش [واتبعناه] كفروا به. يقول الله تعالى: ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ [النساء: ١٥٥].

وقال الضحاك، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا﴾ قال: يستظهرون يقولون: نحن نعين محمدا عليهم، وليسوا كذلك، يكذبون.

وقال محمد بن إسحاق: أخبرني محمد بن أبي محمد، أخبرني عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه. فلما بعثه الله من العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه. فقال لهم معاذ بن جبل، وبشر بن البراء بن معرور، أخو بني سلمة يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل شرك، وتخبروننا بأنه

مبعوث ، وتصفونه لنا بصفته . فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كنا نذكر لكم ، فأنزل الله في ذلك من قولهم : ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين).

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. [البقرة: ١٤٦].

قال الإمام ابن كثير: «يخبر الله أن علماء أهل الكتاب يعرفون صحة ما جاء به الرسول صلّى الله عليه وسلّم كما يعرف أحدهم ولده، والعرب كانت تضرب المثل في صحة الشيء بهذا كما جاء في الحديث أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لرجل معه صبي صغير «ابنك هذا» ؟ قال نعم يا رسول الله أشهد به، قال: «أما إنه لا يخفى عليك ولا تخفى عليه» ويروى عن عمر أنه قال «لعبد الله بن سلام» أتعرف محمدا صلّى الله عليه وسلّم كما تعرف ولدك. قال نعم وأكثر، نزل الأمين من السماء على الأمين في الأرض بنعته، وإني لا أدرى ما كان من أم ولدي، فقبل عمر- رضي الله عنه- رأسه» .

أما رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فبمجرد أن وأقام فيها المجتمع الإسلامي الوليد قام بعقد ميثاق وعهد ووثيقة مكتوبة تنظم العلاقات بين مختلف القوى والطوائف، والتجمعات والأفراد داخل هذا المجتمع، وكان من الطبيعي - بفضل سماحة الإسلام، وبفضل حرص الإسلام على حماية حقوق الأقليات الدينية والعرقية أن يسمح لليهود في المدينة بالدخول في هذا العقد الذي يمثل أرقى ما عرفت البشرية من عقود لحماية حقوق الأقليات الأمر الذي يعكس قيم الإسلام العليا .

ولكن اليهود لم يلتزموا بنود المعاهدة، وسعوا في قتل النبي صلى الله عليه وسلم، وغدروه في أحلك الظروف.

كان في المدينة المنورة ثلاث قبائل من اليهود وهم يهود بني قينقاع ويهود بني النضير ويهود بني قريظة، وكان في شمال المدينة تجمّع كبير ليهود خيبر، وقد نظّم النّبي -عليه السلام- العلاقة بينهم وبين المسلمين بعهد وميثاق، وأعطى لكلا الطرفين حقوقًا وفرض عليهم واجبات، إلّا أنّ اليهود قابلوا الإحسان بالإساءة، فحاولوا مراراً وتكراراً نقض العهد، وتطاولوا على الصحابة وعلى النّبي -عليه الصلاة والسلام- بل وعلى الله -تعالى-، فلمّا انتصر النّبي -صلى الله عليه وسلم- والمسلون في بدر وعلا شأن المسلمين، كان لليهود ردة فعلٍ غريبة.

وكانت يهود بني قينقاع أولى القبائل اليهودية التي تنقض عهدها مع النّبي -عليه الصلاة

والسلام-، وأنزل الله تعالى فيهم آيات تتلى إلى يوم القيامة، قال تعالى:﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ﴾[آل عمران: ١٢]، لكن اليهود لم يلقوا لهذا الكلام بالاً، وفي يوم من الأيام قدمت امرأة من المسلمين إلى سوق بني قينقاع فجلست إلى أحد الصّاغة تبيع وتشتري، فجعل بعض اليهود يريدون كشف وجهها، فجاء واحد من اليهود إلى طرف ثوبها فربطه برأسها فلمّا وقفت انكشفت عورتها، فجلعت تصرخ حتى أتى مسلم فقتل اليهودي، فاجتمع عليه اليهود فقتلوه .

فلمّا وصل الخبر إلى النّبي -صلى الله عليه وسلم- تجهَّزَ بجيشٍ مسرعاً لمعاقبة اليهود وتأديبهم على ما فعلوه من انتهاك لحرمات المسلمين، ونقضٍ للمواثيق، وعدوان وحقد واضح على الإسلام، فاختبأ اليهود كعادتهم في حصونهم عندما رأوا جيش المسلمين قادماً إليهم، فقام المسلمون بحاصرتهم، وامتد الحصار أسبوعين كاملين، حتى نزلوا على حكم النّبي -صلى الله عليه وسلم- فأمر بقتلهم جميعاً، وبعد محاولات قَبِلَ النبي -صلى الله عليه وسلم- منهم الفداء، وأمر بإجلائهم.

ثم كانت غزوة بني النضير في ربيع الأول، وكان سببها أنه لما قتل أصحاب بئر معونة، وأفلت منهم عمرو بن أمية الضمري، فلما كان في أثناء الطريق راجعا إلى المدينة قتل رجلين من بني عامر، وكان معهما عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمان لم يعلم به عمرو، فلما رجع أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك الرجلين، للجوار الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لهما. وكانت منازل بني النضير ظاهر المدينة على أميال منها شرقيها. فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم في دية ذينك القتيلين قالوا: نعم، يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببت، مما استعنت بنا عليه. ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم- فمن رجل يعلو على هذا البيت، فيلقي عليه صخرة، فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدهم، فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر وعمر وعلي، رضي الله عنهم. فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام مظهرا أنه يقضي حاجة وقال لأصحابه لا تبرحوا ورجع مسرعا إلى المدينة، فلما استلبث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه قاموا في طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة، فسألوه عنه، فقال: رأيته داخلا المدينة. فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا إليه، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم. ثم سار حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخل والتحريق فيها. فنادوه: أن يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع

النخل وتحريقها؟ وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج، منهم عبد الله ابن أبي بن سلول، ووديعة، ومالك بن أبي قوقل، وسويد وداعس، قد بعثوا إلى بني النضير: أن اثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم فتربصوا ذلك من نصرهم، فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم، فأجلاهم، وفيهم نزلت سورة الحشر.

أما بنو قريظة فقد غدروا رسول الله صلى الله عليه وسلم في عز قتاله مع الأحزاب الذين حاصروا المدينة وكادوا يفتكون بالمسلمين من داخل المدينة.

ولَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الخَنْدَقِ، وَوَضَعَ السِّلاَحَ وَاغْتَسَلَ - كما رواه البخاري (٤١١٧) - أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَالَ: « قَدْ وَضَعْتَ السِّلاَحَ؟ وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ قَالَ: فَإِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ وحاصرهم بِكَتَائِبِ الْمُسْلِمِينَ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْحِصَارُ، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وَكَانُوا حُلَفَاءَهُ، فَحَكَمَ فِيهِمْ بحكم الله: أَنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُمْ، وَتُسْبَى ذَرَارِيُّهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ.

فَحَبَسَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ، ثُمَّ خَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سُوقِ الْمَدِينَةِ فَخَنْدَقَ بِهَا خَنَادِقَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمْ، فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ فِي تِلْكَ الْخَنَادِقِ، فَخُرِجَ بِهِمْ إِلَيْهِ أَرْسَالًا، وَقَدْ قَالُوا لِكَعْبِ بْنِ أَسَدٍ وَهُمْ يُذْهَبُ بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَالًا: يَا كَعْبُ مَا تَرَاهُ يُصْنَعُ بِنَا؟ قَالَ: أَفِي كُلِّ مَوْطِنٍ لَا تَعْقِلُونَ، أَلَا تَرَوْنَ الدَّاعِيَ لَا يَنْزِعُ، وَأَنَّهُ مَنْ ذُهِبَ بِهِ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُ، هُوَ وَاللَّهِ الْقَتْلُ. فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ الدَّأْبَ حَتَّى فُرِغَ مِنْهُمْ.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَمَرَ بِقَتْلِ كُلِّ مَنْ أَنْبَتَ مِنْهُمْ، ومن لم ينبت تركوه، فروى أبو داود (٤٤٠٤) بسند صحيح عن عَطِيَّة الْقُرَظِيّ رضي الله عنه قَالَ: « كُنْتُ مِنْ سَبْيِ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَكَانُوا يَنْظُرُونَ، فَمَنْ أَنْبَتَ الشَّعْرَ قُتِلَ، وَمَنْ لَمْ يُنْبِتْ لَمْ يُقْتَلْ، فَكُنْتُ فِيمَنْ لَمْ يُنْبِتْ) وفي رواية: « فَكَشَفُوا عَانَتِي، فَوَجَدُوهَا لَمْ تَنْبُتْ، فَجَعَلُونِي مِنَ السَّبْيِ).

وقد تجمع جل اليهود الذين خرجوا من المدينة في خيبر، ولذلك فقد قاد هذه الغزوة رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وكانت بعد إبرام صُلح الحديبية مع قريش، في السَّنة السابعة من الهجرة، في أواخر شهر المحرَّم. فعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية، وأقام بالمدينة ذا الحجة وبعض المحرَّم، ثمَّ خرج إلى خيبر.

وكان عدد جيشه: ألفًا وأربعمائة مقاتل، منهم مائتا فارس .

وبانتصار رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليهود في خيبر انتهى خطرهم، وفل جمعهم.

لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا أنه سيكون لنا جولات معهم في المستقبل في أحاديث كثيرة، فإنَّ الصِّراع بين المسلمين وبين اليهود مستمرٌّ إلى قيام السَّاعة، وإنَّ اليهود مهما كانت لهم دولة؛ فإنَّما هي جولة، ومهما كانت لهم دائرة فهي سائرة، وعلى الباغي تدور الدَّوائر، وتدول الدَّوائل، ولهذا بشَّر النَّبيُّ صلّى الله عليه و سلم أمَّته

أنَّ العاقبة لهم والنَّصر حليفهم، حيث أخبر أنَّه سيقتتل المسلمون مع اليهود في مستقبل الزَّمان؛ فيتسلَّط المسلمون عليهم، ويُظهر الله عزّ و جلّ الآيات البيِّنات، ويسخِّر للمسلمين الجمادات، ويُنْطِقُ الحجرَ والشَّجرَ إذا اختفى يهوديٌّ وراءه ليدلَّ عليه، فيقول للمسلم: يا مسلم يا عبد الله! هذا يهوديٌّ ورائي فاقتله، فجمع بين وصفين: الإسلام والعبوديَّة لله تعالى، ليبيَّن أنَّ الَّذي يستحقُّ هذا الفضل إنَّما هو من تحلَّى بهذين الوصفين.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلم قال:

«لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ المُسْلِمُونَ اليَهُودَ فَيَقْتُلَهُمُ المُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ اليَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الحَجَرُ أو الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ! هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ إِلاَّ الغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ اليَهُودِ»

.

وفي هذا الحديث إشارة إلى أنَّ اليهود سيحتلُّون بيت المقدس، ويجتمعون كلُّهم فيه، وأنَّهم يغرسون شجرة الغرقد، ليحتموا بها ويختفوا من ورائها، فيقاتلهم المسلمون، ويتسلّطون عليهم، ؛ ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء:٧]، ويشهد له أيضا ما رواه البخاري (٣٠٠٥) عن عوف بن مالك قال: أتيت النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبَّة من أدم فقال: (اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ)، وذكر بقيَّة الحديث.

ففيه علم من أعلام النُّبوَّة، حيث إنّه وقع ما أخبر به النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم، فقد احتلَّ اليهود بيت المقدس، وأكثروا من غرس شجرة الغرقد في الأراضي الفلسطينيَّة المغتصبة، لعلمهم بما أخبر به النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم؛ وسيقاتلهم المسلمون ويغلبون عليهم، كما أخبر بذلك الصَّادق المصدوق.

وفيه بيان أنَّ اليهود أشدُّ عداوة للمسلمين من غيرهم، لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنّه سيقاتلهم المسلمون، ولم يذكر طائفة أخرى، ولا شكّ أنّ عداوتهم قديمة منذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كفروا بالرَّسول صلى الله عليه وسلَّم، وهمُّوا بقتله غير مرَّة، وسمُّوه وسحروه، ونقضوا عهده، وألبُّوا عليه أعداءه، وتحالفوا مع كفَّار قريش ضدَّه.

وقد استمرَّت عداوتهم للإسلام والمسلمين إلى العصر الحديث، حيث احتلُّوا أرض فلسطين، وعاثوا فيها فسادًا، فشرَّدوا أهلها، وقتلوا أطفالها، واغتصبوا نساءها، ودمَّروا ديارها، وخرَّبوا مساجدها، وجرفوا أراضيها، وقلعوا أشجارها، وانتهكوا حرماتها، وما حدث في «غزَّة» اليوم خيرُ شاهد على ما تكنُّه هذه العصابة المارقة من البغض الشَّديد، والعداء المديد لأهل التَّوحيد.

وقد كشف الله تعالى هذه الحقيقة فقال:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

وأخيرا، أسأل الله أن يرد كيد اليهود في نحورهم وينصرنا عليهم ويكرمنا برؤية المسجد الأقصى محررا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله رب العالمين وصلواته على رسول الله الذي أرسل رحمة للعالمين.

❋❋❋

حكم موالاة الكافرين

الشيخ: عبدالرحمن الناصر

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾.

فقوله: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي: تولي المسلمين وقطع الكافرين ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ بقوة الكفر وأهله، وضعف الإسلام وأهله.[1]

وأصل معنى الموالاة: القرب، وأصل البراءة: البُعد..

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: «والولاية ضد العداوة، وأصل الولاية: المحبة والقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد»[2].

يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ -مبيِّنًا ضابط الموالاة المكفرة-: «.. مسمى الموالاة يقع على شُعب متفاوتة، منها ما يوجب الردَّة وذهاب الإسلام بالكليَّة، ومنها ما هو دون ذلك من الكبائر والمحرمات»[3].

وقال أيضًا: «ولفظ: الظلم، والمعصية، والفسوق، والفجور، والموالاة، والمعاداة، والركون، والشرك، ونحو ذلك من الألفاظ الواردة في الكتاب والسنَّة؛ قد يُراد بها مسمَّاها المطلق وحقيقتها المطلقة، وقد يُراد بها مطلق الحقيقة؛ والأول: هو الأصل عند الأصوليين؛ والثاني: لا يُحمل الكلام عليه إلا بقرينة لفظيَّة أو معنويَّة، وإنما يُعرف ذلك بالبيان النبوي، وتفسير السنَّة»[4].

ويدل كلام الشيخ عبد اللطيف على أنَّ موالاة الكفار كفر مطلق؛ فمنه ما هو مخرج من الملة - وهو الأصل -، ومنه ما يكون كفرًا دون كفر؛ لقرينة أو دليل.

والموالاة لها معانٍ عديدة في الشرع، والذي يعنينا منها هو: النصرة، فلم يأت دليل يدل على أنها من الكفر الأصغر، بل الأدلة العامة والخاصة تدل على أنها من الكفر الأكبر المخرج من الملة ، كما سيأتي بيانه .

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

فدلَّت الآية على أنَّ الوليَّ من صفته أن يكون ناصرًا، ومثله قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾،

(١) انظر الجلالين.
(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان صـ(٥٣-٥٤).
(٣) الدرر السنية (٣٤٢/٨).
(٤) الدرر السنية (٤٦٧/١).

وقوله تعالى: ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

أما حكم مناصرة الكافرين على المسلمين فهو ردة عن الإسلام، والأدلة كثيرة، منها:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

قال ابن سيرين رحمه الله: «قال عبد الله بن عتبة: ليتق أحدكم أن يكون يهوديًّا أو نصرانيًّا وهو لا يشعر، قال: فظنناه أنه يريد هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾»[1].

قال ابن حزم -رحمه الله تعالى-: «صحَّ أنَّ قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ إنَّما هو على ظاهره، بأنَّه كافر من جملة الكفار فقط، وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين»[2].

وهذا الإجماع الذي أشار إليه ابن حزم يستند إلى دلائل الكتاب والسنة، وإجماع الصحابة على كفر أتباع وأنصار قادة الردة كمسيلمة وطليحة وغيرهما، ومانعي الزكاة، وسمَّوهم جميعًا مرتدين بدون تفريق بين تابع ومتبوع، وناصر ومنصور، وبدون أن يسألوا: هل أنت ناصرته اعتقادًا، أم من أجل دنيا؟

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: «والمصدق لهذا جهاد أبي بكر الصديق -رحمة الله عليه- بالمهاجرين والأنصار على منع العرب الزكاة، كجهاد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أهل الشرك سواء، لا فرق بينها في سفك الدماء، وسبي الذرية، واغتنام المال، فإنما كانوا مانعين لها غير جاحدين بها»[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فذمَّ من يتولى الكفار -من أهل الكتاب- قبلنا وبيَّن أنَّ ذلك ينافي الإيمان»[4].

وقال أيضًا: «قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ..﴾ إلى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾. فالمخاطبون بالنَّهي عن موالاة اليهود والنصارى هم المخاطبون بآية الردَّة. ومعلوم أنَّ هذا يتناول جميع قرون الأمة. وهو لـمَّا نهى عن موالاة الكفار وبيَّن أنَّ مَن تولاهم من المخاطبين فإنَّه منهم بيَّن أنَّ من تولاهم وارتد عن دين الإسلام لا يضر الإسلام شيئًا»[1].

وقال الشوكاني -رحمه الله-: «﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ أي: فإنَّه من جملتهم وفي عدادهم، وهو وعيد شديد؛ فإنَّ المعصية الموجبة للكفر هي التي قد بلغت إلى غاية ليس وراءها غاية»[2].

وقال أيضًا:«وهذا شروع في بيان أحكام المرتدين بعد بيان أنَّ موالاة الكافرين من المسلم كفر، وذلك نوع من أنوع الردة»[3].

ولمناصرة الكفار على المسلمين صور عديدة، منها:

١- مناصرتهم بالخروج معهم لقتال المسلمين:

روى الحاكم أن العباس لما أُسر في غزوة بدر، قال: يا رسولَ الله، إني كنت مسلمًا. فقال رسولُ الله ﷺ: «الله أعلمُ بإسلامك، فإن يكن كما تقول، فالله يجزيك، فافْدِ نفسك، وابني أخويك: نوفلَ بنَ الحارث بن عبد المطلب، وعقيلَ بن أبي طالب بن عبد المطلب، وحليفَك عتبةَ بنَ عمرو بن جَحْدَم أخا بني الحارث بن فهر»...[4].

فمن خرج من المسلمين مع الكفار فإنه يسمى كافرا، وتجري عليه أحكام الكفر الظاهرة من أخذ الفداء وترك الصلاة عليه وعدم دفنه في مقابر المسلمين وغير ذلك؛ لأن أحكام الدنيا مبنيَّة على الظاهر، وهو إن كان مسلمًا في الباطن فسينفعه هذا في الحكم الأُخروي عند الله عزَّ وجلَّ.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: «فالله تعالى أهلك الجيش الذي أراد أن ينتهك حرماته -المكره فيهم وغير المكره- مع قدرته على التمييز بينهم، مع أنه يبعثهم على نياتهم، فكيف يجب على المؤمنين المجاهدين أن يميزوا بين المكره وغيره وهم لا يعلمون ذلك، بل لو ادَّعى مدَّعٍ أنه خرج مكرهًا لم ينفعه ذلك بمجرد دعواه كما روي: أن العباس بن عبد المطلب قال للنبي ﷺ لما أسره المسلمون يوم بدر: يا رسول الله إني كنت مكرهًا. فقال: «أما ظاهرك فكان علينا وأما سريرتك فإلى الله»»[5].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (٦٥١١) وإسناده صحيح.
(٢) المحلى (٣٣/١٢).
(٣) الإيمان ص(١٧)
(٤) مجموع الفتاوى (١٩٢/٢٨).

(١) مجموع الفتاوى (٣٠٠/١٨).
(٢) فتح القدير (٥٨/٢).
(٣) فتح القدير (٥٩/٢).
(٤) رواه الحاكم (٥٤٠٩)، وعنه البيهقي في السنن (١٢٨٤٩) بإسناد حسن.
(٥) مجموع الفتاوى (٥٣٧/٢٨).

٢- خذلان المسلمين وقت الحاجة:

قال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ٨٨ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

جاء في نزولها: عن عبد الله بن يزيد، قال: سمعت زيد بن ثابت رضي الله عنه، يقول: لما خرج النبي ﷺ إلى أحد، رجع ناس من أصحابه، فقالت فرقة: نقتلهم، وقالت فرقة: لا نقتلهم، فنزلت: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ وقال النبي ﷺ: «إنها تنفي الرجال كما تنفي النار خبث الحديد»[١].

عن السدي في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ يقول: «إذا أظهروا كفرهم»[٢].

فدل على أن تخليهم عن المسلمين ورجوعهم من الطريق في غزوة أُحد هو ردة عن الإسلام؛ لأنه يصُبُّ في مصلحة الكافرين، وهو خذلان للمسلمين في وقت الحاجة، فقد كفرهم القرآن في قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾، وبقوله تعالى في أواخر سورة آل عمران -عن الطائفة المنافقة نفسها-: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾.

والعرب تُعبِّر بالقرب عن الكل، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الإلهي: «لو أتيتني بقراب الأرض خطايا»[٣] المقصود: بملء الأرض.

ولذا قال الحسن البصري: «فهو اليقين»[٤].

وعن محمد بن إسحاق قال: «فأظهر منهم ما كانوا يخفون في أنفسهم»[٥]. وعنه قال: «يظهرون لكم الإيمان وليس في قلوبهم».

فأمر الله عزَّ وجلَّ المؤمنين أن لا يتخذوهم أولياء حتى يتوبوا من مثل هذا الفعل ويهاجروا إلى الله هجرة صحيحة يصحُّ بها إيمانهم -والهجرة هنا بمعناها العام، وهي هجر ما نهى الله عنه-، أمَّا إذا استمروا على حالهم فإنهم بذلك يكونون قد أظهروا الكفر ويستحقون عقوبة الكفار المحاربين وهو القتل، وإنما لم يقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم أظهروا عذرًا وتوبة..

٣- إفشاء السر وإعطاء معلومات استخباراتية للعدو:

ففي قصة إفشاء حاطب سرَّ النبي صلى الله عليه وسلم لقريش، قال: «وما فعلت كفرًا ولا ارتدادًا، ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لقد صدقكم»، قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: «إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعلَّ الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»»[١].

وفي رواية عند الحاكم: «يا رسول الله أمكني منه فإنَّه قد كفر»[٢].

وهذا يدل على أنَّ الموالاة التي وقعت من حاطب هي موالاة مكفِّرة، ووجه الاستدلال أنَّ النبي ﷺ لم يُنكر على عمر تكفيره لحاطب من حيث المبدأ، وإنَّما اعتذر لحاطب بعدما تبيَّن له أنَّ حاطبًا مُتأول في ذلك. كما قال الحافظ ابن حجر: «وعذر حاطب ما ذكره؛ فإنَّه صنع ذلك متأولًا أن لا ضرر فيه»[٣].

فأمَّا أنَّ ما فعله حاطب كفر فهو ظاهر القرآن؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، ولدلالة حديث حاطب نفسه، من قوله: «ما فعلت ذلك كفرًا ولا ارتدادًا»؛ فحاطب يقرُّ أنَّ هذا الفعل هو كفر وردَّة في ظاهره، وأيضًا من قول عمر: «دعني أضرب عنقه فقد نافق» وفي رواية: «فقد كفر»، ومن إقرار النبي صلى الله عليه وسلم لعمر؛ إذ لو كان هذا الفعل ليس كفرًا لأنكر على عمر مسارعته في التكفير ولقال له: إنَّ هذا الفعل ليس بكفر أو لا يكفر به ونحو ذلك، إذ تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز في حقِّه صلى الله عليه وسلم كما تقرر في الأصول.

٤- إظهار الفرح بانهزام المسلمين وانتصار الكافرين عليهم:

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ..﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾.

عن مجاهد أنها: «نزلت في المنافقين من أهل المدينة. نهى الله عزَّ وجلَّ المؤمنين أن يتولوهم»(٤).

ويدخل في ذلك الحملات الإعلامية التي تنصر الكافرين على المسلمين..

فهذه جملة من الأدلَّة الدَّالَّة على أنَّ موالاة الكفَّار ونصرهم على المسلمين هي من الموالاة المكفِّرة أيًّا كانت هذه النصرة؛ بالنفس أو بالمال أو باللسان والإعلام أو بتبادل المعلومات الاستخباراتية أو بإظهار الفرح بانهزام المسلمين وانتصار الكافرين أو بمعاونتهم في حصار المسلمين أو غير ذلك.

(١) رواه البخاري (١٨٨٤) ومسلم (٢٧٧٦).
(٢) رواه الطبري (١٠٠٦٨) وابن أبي حاتم (٥٧٥٤) بإسناد حسن.
(٣) رواه الترمذي (٣٥٤٠) وقال: هذا حديث حسن غريب. وصححه الألباني.
(٤) ذكره يحيى بن سلام كما في تفسير ابن أبي زمنين (٣٣٢/١).
(٥) رواه ابن أبي حاتم (٤٤٧٩).

(١) رواه البخاري (٣٠٠٧).
(٢) رواه الحاكم (٦٩٦٦) وصححه هو والذهبي على شرط مسلم.
(٣) فتح الباري (٢٧٣/١٨).
(٤) رواه الطبري (٧٦٨١) بسند صحيح.

وقد وُجِدَ في كلام بعض العلماء أن الموالاة إنما تكون كفرًا إذا كانت من أجل الدين، وأمَّا إذا كانت من أجل الدنيا فلا تكون كفرًا. وهذا الضابط غير صحيح من أوجه:

أ- أنَّ النصوص أناطت الحكم بمسمى الموالاة، ولم تعلِّقها بما في القلب من إرادة الدنيا أو إرادة انتصار الكفر على الإسلام.. ونظير ذلك من يقول: الاستغاثة بغير الله لا تكون شركًا إلا إذا اعتقد أن المُستغاث به يضر وينفع، ونظير من يقول إن ترك الصلاة لا يكون كفرًا إلا إذا جحد، فجعل مناطًا جديدًا لم يجعله الشرع مناطًا..

ب- أنَّ من أراد بقلبه انتصار دين الكفار فهذا يكفر ولو لم يوالِ بالفعل..

ت- أنَّ أصل الكفر هو حب الدنيا وإيثارها على الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ٢ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾.

ث- أنَّ هذا القول لم يُعرف عن الصحابة والتابعين. بل المنقول عنهم خلافه؛ وهو التكفير بموالاة النصرة ولو كانت من أجل الدنيا، ومن ذلك ما أُثِر عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ٨٤ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ٨٥ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾.

قال ابن عباس: «أنبهم الله من فعلهم، وقد حرم عليهم في التوراة سفك دمائهم وافترض عليهم فيها فداء أسراهم، فكانوا فريقين: طائفة منهم بنو قينقاع، وإنَّهم حلفاء الخزرج. والنضير، وقريظة، وإنَّهم حلفاء الأوس. فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج، وخرجت النضير وقريظة مع الأوس، يظاهر كل واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه، حتى يتسافكوا دماءهم بينهم، وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم. والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان، ولا يعرفون جنة ولا نارًا، ولا بعثًا ولا قيامة، ولا كتابًا، ولا حلالًا ولا حرامًا، فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم، تصديقًا لما في التوراة، وأخذا به؛ بعضهم من بعض، يفتدي بنو قينقاع ما كان من أسراهم في أيدي الأوس، ويفتدي النضير وقريظة ما كان في أيدي الخزرج منهم، ويطلبون ما أصابوا من دمائهم وقتلى من قتلوا منهم فيما بينهم، مظاهرة لأهل الشرك عليهم. يقول الله تعالى ذكره حيث أنبهم بذلك: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ أي: يفاديه بحكم التوراة، ويقتله، وفي حكم التوراة ألا يفعل، ولا يخرج من داره، ولا يظاهر عليه من يشرك بالله، ويعبد الأوثان من دونه، ابتغاء عرض الدنيا. ففي ذلك من فعلهم مع الأوس والخزرج -فيما بلغني- نزلت هذه القصة»[1].

ففي هذه الآيات مع أثر ابن عباس بيان أنَّ موالاة اليهود للمشركين الوثنيين ضد إخوانهم في الملة -والتي أدَّت إلى سفك دماء إخوانهم وإخراجهم من ديارهم- هو كفر ببعض الكتاب -والكفر ببعض الكتاب كالكفر بالكتاب كله-، وأنَّ موالاتهم هذه لم تكن من أجل دين الأوس والخزرج ولا من أجل أن تنتصر الوثنية على اليهودية، وإنَّما كانت من أجل الدنيا ومن أجل مصالحهم الدنيوية مع حلفائهم، فكان ما آمنوا به من التوراة هو فكُّ الأسرى من اليهود، وما كفروا به من التوراة هو استحلالهم دماءهم ومظاهرة الوثنيين عليهم مع أنَّ التوراة حرمت عليهم جميع ذلك..

وهذا يتفق مع دلالة قصة حاطب، فإن حاطبًا لم يرد بفعله انتصار دين قريش، وإنما أراد مصلحة دنيوية...

ويتفق مع ما تقدم من إجماع الصحابة رضي الله عنهم على تكفير أنصار قادة ورؤوس الردة، وأنهم لم يفرقوا بين القادة والأتباع ولا بين من كان جاحدًا بقلبه أو مقر بها، وبين من أراد بمناصرته الدنيا أو أراد الدين، كما تقدم نقل ابن حزم الإجماع على ردة من تولى اليهود والنصارى. والله أعلم.

اللهم اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

***

(١) رواه ابن إسحاق بإسنادٍ حسن عن محمد بن أبي محمد عن ابن عباس.

عز الدين القسَّام

لمحات من حياته ودروس من جهاده

الشيخ: عبد الآخر حمّاد

كانت المرة الأولى التي يقع فيها نظري على اسم عز الدين القسَّام ، من خلال كتيب صغير وجدته في مكتبة والدي رحمة الله عليه ،وأنا بعدُ صبي في المرحلة الإعدادية . كان هذا الكتاب يحمل عنوان : «صوت الشعر في قضية فلسطين» . لمؤلفه الداعية السلفي محمد صادق عرنوس (ت: ١٩٥٠م) ، وقد كان رحمه الله من دعاة جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر ، بل كان وكيلاً لها ،ومديراً لتحرير مجلتها (الهدي النبوي) .ولما تصفحتُ ذلك الكتيب وجدته عبارة عن ديوان شعر صغير يتحدث عن قضية فلسطين وما حلَّ بأهلها ، ومن ضمن قصائده قصيدة بعنوان : (الشهيد عز الدين القسام)، مطلعها :

من شاء فليأخذ عن القسَّام * أنموذج الجندي في الإسلامِ**

وليتّخذْه إذا أراد تخلصاً * من ذلَّة الموروث خيرَ إمامِ**

لم أستطع يومها أن أعرف الكثير عن القسَّام ، وإنْ علمت من خلال تلك القصيدة أن القسام رحمه الله كان من أهل العلم ،إلا أنه أبى أن يكتفي بالوعظ والكلام ، فقام مجاهداً في سبيل الله إلى أن أكرمه الله بالشهادة :

ترك الكلامَ ورصْفَه لهُواته *** وبضاعةُ الضعفاءِ محضُ كلامِ

ولما أُعلن في بداية التسعينيات من القرن الميلادي المنصرم عن تأسيس كتائب عز الدين القسام بدأنا نتعرف على جوانب مهمة من حياته ، وكيف صار بجهاده واستشهاده خير مثال للعالم المجاهد الصابر .

وفي خضم هذه الأحداث الجسام التي تشهدها حالياً أرض فلسطين المباركة ، قد يكون من المناسب أن أذكر نفسي وإخواني بهذا المجاهد العظيم الذي انتسب إليه أولئك المجاهدون الأبطال .فأبدأ بتعريف سريع به ،وبالخطوط العريضة في حياته رحمه الله ،ثم أُثنِّي ببعض الدروس المهمة التي نستلهمها من سيرته وجهاده رحمه الله .

١-عز الدين القسام ..حياته في سطور:

هو محمد عز الدين بن عبد القادر القسَّام . ولد على الأرجح سنة ١٣٠٠هـ- ١٨٨٢م ، لأسرة كريمة بمنطقة جبلة التابعة لقضاء مدينة اللاذقية السورية المشهورة . سافر إلى مصر ودرس بالجامع الأزهر لمدة عشر سنوات على يدي ثلة من مشايخه كان من أبرزهم الشيخ محمد عبده ، كما التقى بالشيخ رشيد رضا واستفاد منه وتأثر بمنهجه السلفي . وبعد أن نال الشهادة الأهلية عاد إلى بلاده في عام ١٩٠٦، فاشتغل بالتعليم والوعظ والخطابة. وعندما غزا الجيش الإيطالي ليبيا في عام ١٩١١، صعد الشيخ القسام منبر مسجد المنصوري، داعياً إلى الجهاد ونصرة مجاهدي ليبيا. ولما احتل الفرنسيون ساحل سوريا في نهاية الحرب العالمية الأولى (سنة ١٩١٨م) ثار في جماعة من تلاميذه ومريديه ،فانضم إلى مجموعة عمر البيطار ،وانتظم في عداد رجالها وتقلد السلاح جندياً في خدمة الإسلام ، واستمر هو وإخوانه حوالي سنة في مقاومة الفرنسيين (١٩١٩ - ١٩٢٠ (. ونتيجة لإصراره على خطه الجهادي حكم عليه الفرنسيون بالإعدام هو ومجموعة من اتباعه . وطارده الفرنسيون فقصد دمشق ، ثم غادرها بعد أن احتلها الفرنسيون في عام ١٩٢٠ ،قاصداً «حيفا» بفلسطين ، وهناك انشغل أيضاً بالتعليم والخطابة ؛ فكان يخطب في مسجد الاستقلال بحيفا ، وتولى رياسة جمعية الشبان المسلمين بها . ثم بدأ الإعداد لمرحلة جديدة من الجهاد ضد الانجليز والصهاينة ، حيث كان الاحتلال الانجليزي قد بدأ يمهد الأجواء للعصابات الصهيونية لتتمكن من الاستيلاء على أرض فلسطين ،وإقامة ما يسمى بالوطن القومي لليهود. واستغل الشيخ القسام ثورة البراق سنة ١٩٢٩ ،فأخذ يدعو في خطبه العرب والمسلمين إلى التصدي لكل من الانجليز والصهاينة .ثم بدأ في تكوين مجموعة جهادية من تلاميذه ومحبيه ليبدأ بهم جهاده المسلح ،وانحاز إلى بعض المناطق الجبلية بمنطقة جنين ،ولكن الانجليز عرفوا عن طريق بعض الخونة بمكان تواجده فأرسلوا له قوة من خمسمائة جندي ،وضربوا حوله حصاراً خانقاً مطالبينه هو وجنوده بالتسليم ، لكنه رفض التسليم وقال لمن معه : موتوا شهداء . وبتاريخ العشرين من نوفمبر عام ١٩٣٥م دارت معركة شديدة بين قوتين غير متكافئتين لا في العَدد ولا في العُدَّة ، حيث كان كل واحد من المجاهدين يقابله أربعون من الأعداء .لكن الشيخ ومن معه أظهروا بسالة نادرة، وظلوا يقاتلون من الفجر حتى الظهر ، حيث انتهت المعركة باستشهاد القسَّام هو واثنين من رفاقه ، وأسْرِ الجرحى من المجاهدين ،وتمكن بقية المجاهدين من الإفلات من طوق القوات الانجليزية . كما قُتل عدد كبير من جنود الانجليز ، لكنهم في بيانهم الرسمي لم يعترفوا إلا بمقتل ثلاثة من جنودهم فقط .وقد دُفن القسام رحمه الله بقرية الشيخ بجوار حيفا .

مصنفاته وتراثه العلمي :

لا يُعرف للشيخ رحمه الله من التآليف والمصنفات إلا كتاب « النقد والبيان في دفع أوهام حزَيران» بالاشتراك مع صديقه العالم الدمشقي محمد كامل القصاب .وسيأتي الحديث عن هذا الكتاب في آخر المقال . [من مصادري في هذه الترجمة : الإعلام للزركلي : ٧/ ٢٦٧، وكتاب

«السلفيون وقضية فلسطين « للشيخ مشهور حسن سليمان ص: ١١٤ وما بعدها ، ومقال على موقع « أسنانكا» بشبكة الإنترنت ،بعنوان : قصة الشهيد المجاهد عز الدين القسام (ابن مدينة جبلة) ، لطبيب أسنان سوري أسمه أنس نعنوع .وقد ذكر هذ الطبيب أنه من أقارب الشيخ القسام رحمه الله .

٢-من الدروس المستفادة من حياة القسام وجهاده :

أولاً : الارتباط الوثيق بين العلم والجهاد : من أهم ما نُلاحظ في حياة القسام رحمه الله أنه بخلاف كثيرين ممن درسوا العلم الشرعي في العصور المتأخرة ، لم يكتفِ بأن يكون عالماً يعلم الناس ويعظهم في المساجد ودور العلم ،بل قام مجاهداً بنفسه في سبيل الله .فرأينا جهاده الفرنسيين في سوريا ، ثم جهاده الانجليز والصهاينة في فلسطين ، ليحيي بذلك سنة السلف الصالح في الجمع بين العلم والجهاد .وأهل العلم المتبعون لسلف هذه الأمة يعلمون جيداً مدى الارتباط بين قضيتي العلم والجهاد ،وأن قوام هذه الأمة إنما يكون بهما . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (قوام الدين كتاب يهدي وسيف ينصر وكفى بربك هادياً ونصيراً). [مجموع الفتاوى (١٣/ ١٠)]. يتأول قول الله تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.[الحديد:٢٥].

وقد فهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الأمر حق فهمه ،ولذا كانوا هم أعمق الناس علماً ،وهم أيضاً أعظم الناس جهاداً في سبيل الله. وسار على نهجهم أهل العلم والدين من بعدهم ،فرأينا كثيراً من أهل العلم يقاتلون في سبيل الله بأنفسهم كما هو معلوم من سيرة الإمام عبد الله بن المبارك ،وشيخ المالكية أسد بن الفرات ، وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم . وقد أحيا القسّام سنة أولئك الأئمة الأعلام ، وسار على نهجهم. ولا تزال الأمة بخير ما اجتمع فيها هذان الركنان ،وقام فيها من يحيي آثارهما ،خصوصاً إذا كان أهل العلم هم أهل الجهاد ،كأن يكون العلماء مجاهدين بأنفسهم ،أو أن يكون الأمراء المجاهدون من أهل الفقه في الدين .

ثانياً : شعور الأمة الواحدة : كانت هموم القسام رحمه الله هي هموم الأمة المسلمة كلها ، فلم يكن يتحرك في مقاومته للأعداء من منظور نعرةٍ وطنية ،أو عصبيةٍ قومية ،كما رأينا في كثير مما سمي بحركات التحرر في عصرنا الحديث . وإنما كما رحمه الله ينطلق من مفهوم الأمة الواحدة كما قال تعالى : ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ . [الأنبياء :٩٢]. فقد رأينا كيف طالب بنصرة الليبيين لما غزا الإيطاليون ليبيا ، كما رأينا كيف جاهد الفرنسيين في سوريا ،ثم الانجليز وأعوانهم في فلسطين . فالأمة المسلمة عنده أمة واحدة لا تعترف بهذه التقسيمات الحادثة والحدود المصطنعة .ولذا فإنه كما قال أحمد الشقيري -وهو أول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية- واصفاً القسام وتلاميذه : (لم تجرِ على ألسنتهم تعابير الكفاح المسلح والحركة الوطنية ،والاستعمار والصهيونية . قد كانت تعابيرهم على بساطتها تنبع من ينبوع أروع وأرفع ،هو الإيمان والجهاد في سبيل الله). [السلفيون وقضية فلسطين في واقعنا المعاصر لمشهور حسن سليمان ص: ٩].

ثالثاً : النزعة السلفية الواضحة : نلمح في منهج القسام نزعة سلفية ظاهرةً ،وفهماً صحيحاً لقضايا السنة والبدعة .ويتجلى ذلك في كتاب : (النقد والبيان في دفع أوهام خزيران)، الذي ألفه بالاشترك مع الشيخ محمد كامل القصاب . وقصة هذا الكتاب كما ذكر مؤلفاه (ص: ٤ وما بعدها) أن أحدهما (وهو القسام كما ذكر محقق الكتاب) كان قد سُئل عن حكم الصياح بالتّهليل والتكبير وغيرِهما، أمام الجنائز. فأجاب بأنه مكروه تحريماً، وبدعةٌ قبيحةٌ، يجب على علماء المسلمين إنكارُها، وعلى كلِّ قادرٍ إزالَتُها،

مستدلاً بالقرآن الكريم والسنة الصحيحة ، ثم بأقوالِ الفقهاءِ. وسأل المستفتي السؤال نفسه للشيخ عبد الله الجزار،مفتي عكا وقاضيها في ذلك الوقت ،فأفتاه بالجواز. فاضْطُرَّ السَّائلُ إلى إرسال الجوابين إلى عالِمَين من كبار علماء الأزهر (الشيخ محمود خطاب السُّبكي ،والشيخ علي سرور الزنكلوني) ، فأَفْتيا بأنه بدعةٌ منكرةٌ، مؤيِّدَيْن فتوى القسام ، فما كان من أحد تلامذة الشيخ الجزار ،وهو محمد صبحي خُزَيران الحنفي العكّي، رئيس كُتَّاب المحكمة الشرعية في ثغر عكا، إلا أن كتبَ رسالةً في الانتصار لأُستاذه بعنوان : (فصل الخطاب في الرد على الزَّنكلوني والقسام والقصاب) . فجاء كتاب القسام والقصاب في الرد على تلك الرسالة ،وبيان بِدعية رفع الصوت بالتهليل والتكبير وغيرهما أمام الجنائز ،وأن ذلك هو قول علماء المذاهب الأربعة وغيرهم .

ويظهر المنحى السلفي في هذا الكتاب من خلال استدلال مؤلفَيْه بالآثار السلفية الصحيحة ، وبيان أنه لا يصح ترك ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ،واتباعُ بدعة يراها الناس حسنةً . بل في هذا الكتاب ما يشير إلى تأثر الشيخين القصاب والقسام بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله حيث قالا (في ص: ٥٨) بعد أن أشارا إلى كتاب الاعتصام للشاطبي وأهميته في بيان البدع والتحذير منها : (وكنَّا نودُّ أن نرشدَ الأستاذ الجزَّار وتلميذَه إلى الاستفادة من هذا الكتاب الذي لا ندَّ له في بابه، ولكنا خشينا أن يرميا مؤلِّفَه بالنَّزْعة الوهابيَّة ، التي هي حجة العاجز لترويج الباطل وإضاعة الدين التي رميانا بها ...).

هذا وقد وجدت العلامة الشيخ علي الطنطاوي في كتابه رجال من التاريخ (ص: ٤١٠) يتحدث عن الشيخ كامل القصاب مبيناً أنه كان من أهل العلم العاملين ، وأنه أنشأ المدرسة الكاملية التي تخرج منها جماعة من الأعلام على رأسهم العلامة السلفي الشيخ محمد بهجة البيطار رحمه الله . وأن الشيخ كامل القصار كان كصديقه القسام مجاهدا في سبيل الله ، حتى إنه كان قبل موقعة «ميسلون» يخطب في دمشق في الطرق والساحات ومجتمعات الناس ، يثيرهم ويحرضهم على قتال الفرنسيين ، وأنه لما وقعت الهزيمة واحتل الفرنسيون سوريا كان اسم القصاب هو أول اسم في قائمةِ مَنْ حكم عليهم الفرنسيون بالقتل .

وفي هذا كله أبلغ بيان لوضوح الرؤية عند القسام وزميله ، وأنه لا منافاة عندهما بين محاربة البدع وإحياء السنن ، وبين جهاد الكافرين . وقد رأينا في الآونة الأخيرة مَن يُخاطب المجاهدِين في غزة مطالباً إياهم بتأخير قتال اليهود ،والانشغال بدلاً من ذلك بتعليم الناس التوحيد والسنة .وقد رددنا بحمد الله على هذا المدعي ،مبينين أنه لا منافاة بين تعليم الناس التوحيد والسنن ،وبين جهاد أعداء الله عز وجل ، وأننا مطالبون بكلا الأمريْن ، وأنه بافتراض أننا قصرنا في أحدهما ،فإن ذلك لا يصلح مبرراً لترك الآخر . رحم الله القسَّام وتقبَّله في الصالحين ،هو وسائرَ شهدائنا الأبرار.

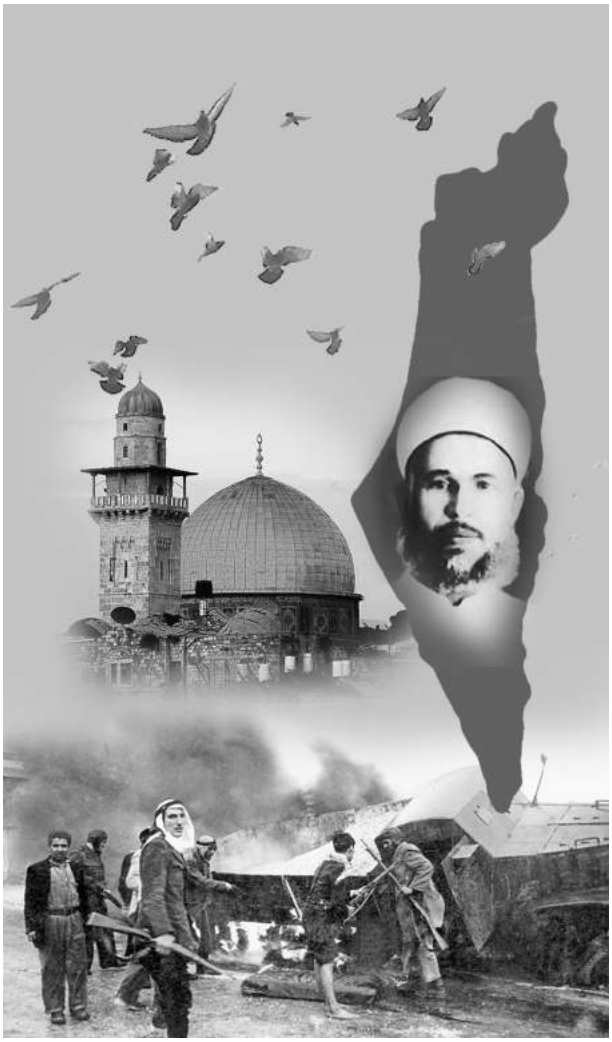

***

بيان رابطة علماء المسلمين

بشأن

استمرار الحرب الظالمة على غزة

الحمد لله .. والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد ..

فكأن العدو الصهيوني الآثم وحلفاءه المشاركين له لم يكتفوا بآلاف الشهداء من الأطفال والنساء والمدنيين العزل الذين قضوا في أكبر جريمة إبادة في العصر الحديث في حق شعب أعزل على مرأى ومسمع من العالم أجمع بل بمشاركة ومباركة من دوله العظمى!! كأنه لم يكتفِ بذلك ليستأنف عدوانه بإجرام أشد مع صمت مخزٍ من الدول العربية والإسلامية؛ ليواصل حربه الظالمة لإبادة واستئصال أهل فلسطين، وإزاءَ هذا الحدث الجلل والخطب العظيم فإنّ علماء المسلمين يدعون الأمّة الإسلامية أن تقوم بما أوجبه الله على أهل الإسلام من نصرة إخوانهم المستضعفين في غزة خاصة وفلسطين عامة، قال تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢]

وإذْ تتولى الرابطة الإعلان عن ذلك تؤكد على ما يلي:

أولًا: إنّ هذه الحرب التي يشنّها الكيان الصهيونيّ وحلفاؤه على غزة هي جريمة إبادة لشعب كامل أعزل، وهي حرب دينية – كما أعلن أربابها ومتولو كبرها - وهي امتداد للحروب الصليبية التي لم تتوقف يومًا وإن تعددت صورها وأشكالها؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

وإن دخول الغرب في هذه المعركة بشكل مباشر ، كما تفعل أمريكا بتدخلها المباشر في الحرب ومدها الكيان الصهيوني بأسلحة فتاكة بما يساعدها على إبادة الشعب الفلسطيني، وأخيرًا ما قامت به بريطانيا بإرسال طائراتها في سماء المعركة؛ فإن كل ذلك سيحولها إلى حرب أممية لا تبقي ولا تذر!

ثانيًا: إنّ عملية طوفان الأقصى وغيرَهُ من صور المقاومة للكيان الصهيونيّ هو جهادُ دفعٍ، وإنّ قيامَ المسلمين بنصرة أهل غزة ونجدتهم هو جهادُ دفعٍ أيضًا، وجهاد الدفع واجب عينيّ، يلزم استمراره حتى إماطة العدوان عن ديار الإسلام، فإن لم يكفِ أهل البلد لرد العدوان امتد الوجوب إلى من جاورهم حتى يعم الأمة كلها.

قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠]

وإذا كان أهل الكفر والباطل يتداعون لنصرة هذا الكيان الصهيوني المعتدي الأثيم بكل سبيل ويعلنون ذلك صراحة ويتفاخرون به بلا خجل أو حياء؛ فأولى بأهل الإسلام من الحكام والشعوب المسلمة أن يبادروا بما أوجب الله عليهم من دفع هؤلاء المعتدين ونصرة إخوانهم المستضعفين المظلومين.

وعلى الدول العربية والإسلامية تفعيل قرارات مؤتمرها الذي انعقد في الرياض في السعي الحثيث لإيقاف العدوان الصهيوني الأثيم بكل سبيل، وفي إيصال المساعدات الإنسانية إليهم، وألا تبقى هذه القرارات مجرد حبر على ورق! وتحذر الرابطة من عاقبة هذا الصمت العربي والإسلامي؛ فإنه سيدفع الشعوب لتجاوز الدول بشكل أو بآخر، وعندها ستكون العواقب غير محكومة ولا محمودة!

ثالثًا: وما ينطبق على أهل غزة من الأحكام السابق ذكرها ينطبق على غيرهم من أهل الثغور، كالشعب السوري المسلم، الذين يُحارَبون في نفس التوقيت من نظام الأسد وأنصاره الروس المجرمين وصفوية إيران الأكثر إجرامًا؛ لأنّ قضايا أمتنا قضيةٌ واحدة، وحربها واحدة وسلمها واحدة، ولأنّ عدوها مشروعٌ إجراميٌّ واحد، لا فرق فيه بين صهيونية وصليبية وصفوية، فجميعها وجوه لمشروع واحد هو هدم الإسلام، وقد قال الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣].

رابعًا: على الأنظمة التي تحكم بلاد المسلمين أن تُثْبِتَ للشعوب المسلمة أنّها سالمةٌ من الموالاة لأعداء الله وبارئةٌ من تهمة المظاهرة للكافرين على المسلمين؛ وذلك بأن تقوم هذه

الأنظمة بالحدّ الأدنى من الموالاة للمسلمين والمعاداة للكافرين؛ والذي لا يتحقق على المستوى السياسيّ إلا بطرد سفراء الكيان الصهيونيّ وقطع العلاقات معه، فإن لم تفعل فهي واقعة تحت طائلة الحكم الوارد في الآية الكريمة ـ بلا أدنى تأويل: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

وعلى الدولة المصرية القيام بواجبها التاريخي والأخلاقي والإنساني، قبل أن يكون واجبها الإسلامي، فهي صاحبة السيادة على المعبر الوحيد لإيصال المساعدات الإنسانية والإغاثية لأهل غزة، ولا يمكن أن تبرأ ساحتها من المشاركة في هذه الإبادة الجماعية إلا بذلك.

خامسًا: يؤكد العلماء على أنّ المقاومة الفلسطينية الإسلامية بكافّة فصائلها هي من الطائفة المنصورة التي بشر بها النبي صلى الله عليه وسلم أهل السنة والإسلام؛ فعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ) البخاري (٧٣١١) ، وفي رواية لمسلم (١٠٣٧) (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ).

فهذه الطائفة المجاهدة الظاهرة هي القلب النابض لأهل السنة على مرّ الزمان، فلا تحاول الصفويةُ الإيرانية الخبيثة - بمشروعها الإجراميّ الذي لا يستهدف إلا أهل السنة - أن ترقص على حبال متشابكة لتنسب لنفسها بطولات صاغتها دماء أبناء غزة الطاهرة، فقضية فلسطين وجميع قضايا الأمة بريئة من النظام الصفويّ الإيرانيّ، الذي لم يعرف له عبر تاريخه كله أي جهاد ضد أعداء الإسلام، ولم يرفع سيفه إلا على أهل السنة!

وتدعو رابطة علماء المسلمين الدول العربية والإسلامية إلى القيام بواجبها في نصرة فصائل المقاومة الفلسطينية الإسلامية، والقيام بواجب النصح لها، وألا تخذلها وتضطرها للجوء إلى الدولة الصفوية التي تسعى جاهدة لتوظيف ذلك في تبييض صفحتها والترويج لمذهبها الضال ومشروعها الإجرامي.

سادسًا: يحذر علماء المسلمين من المؤامرة الخبيثة على أهل فلسطين عامة وأهل غزة خاصة التي بدأت ملامحها تتشكل على الأرض ، والتي تظهر في تصريحات أكابر مجرميها، والتي تدور حول تهجيرهم قسريًّا ؛ من خلال اعتماد سياسة الأرض المحروقة التي يمارسها العدو الصهيوني باستخدام القنابل الأمريكية الهائلة التي تحصل عليها ، والتي يصبها فوق رءوس المدنيين، ويحذر علماء المسلمين أية دولة أو نظام تسوّل له نفسه أن يكون شريكًا في هذه الخيانة العظمى مقابل دولارات معدودة ومصالح موهومة.

سابعًا: لا ريب أنَّ عاقبة ما يجري اليوم على أرض فلسطين عامة وغزة خاصة كلها خير بإذن الله تعالى، فسواء تحقق النصر الكامل والحسم العسكريّ لأهل غزة وللمقاومة أو تأخر لحكمة يعلمها الله - وإنّه لقريب بإذن الله - وها هي المقاومة ثابتة وصامدة؛ تُلْهِم بهذا الثبات والصمود الجيلَ كله، وتنفض

اليأس والقنوط عن كاهل المسلمين، وتبعث الأمل في قلوبهم، وها هي الأنظمة الخائنة والمتآمرة تزداد انكشافًا وافتضاحًا؛ ليتحقق مقصود عظيم من مقاصد الصراع بين الحق والباطل وهو استبانة سبيل المجرمين وفضح حقيقتهم وهتك أسرارهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥]؛ لتعلم الشعوب من اليوم طريقَها معها، وها هي شعوب العالم تقرأ الإسلام على حقيقته في مشاهد الصمود والعظمة والإنسانية الراقية؛ فتعلم أنّها على موعد قريب مع الدين الذي سيلبي فطرتها ويحقق إنسانيتها ويخرجها من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

ثبت الله المجاهدين ونصر عباده المؤمنين وألفّ برحمته بين قلوب المسلمين، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

❋❋❋

ملف خاص

طوفان الأقصى

ملف العدد

نظرية أمن إسرائيل..

كيف جرفها الطوفان؟

د. عبدالعزيز كامل

منذ أن أخرج الله الذين كفروا من ديارهم لأول الحشر، إلى أن جيء بهم لفيفًا إلى بيت المقدس في هذا العصر ؛ كان الهمّ الأكبر لمن مدُّوا لهم حبال الخروج من الذل أن يحفظوهم ويُأمِنوا مصيرهم من العودة إلى الذلة التي كُتبت عليهم إلا بحبل من الله وحبل من الناس.

وحبل الناس الممدود لليهود في عصرنا من النصارى؛ لم يُمدوه إلا لتأمينهم حتى تتحق جميع الأهداف المشتركة بينهم ، فإخراجهم من التيه المعاصر كان – ولا يزال - محور دفعهم والدفاع عنهم ؛ للوصول سويًا إلى مرحلة (العلو الكبير) المقضي لأهل الكتاب في زمن محدود ولأجل معدود.

لا نبالغ حين نقول إن ما حدث في عصرنا بمراحل الحروب ومسلسلات السلام عبر أكثر من

سبعين عامًا؛ كان يستهدف أمرًا واحدًا، اختصر في عبارة : (أمن إسرائيل) ؛ ذلك الأمر الذي لا يمل الإعلام العالمي والعربي من ترداده على مسامع الناس كلما تفاعلت قضية أو تجددت أحداث تخص منطقتنا المبتلاة المسماة بـ (الشرق الأوسط).

•ففي سبيل ضمان « أمن إسرائيل » بعد إقامة دولتهم (اليهودية) في فلسطين؛ هُدمت دولة الخلافة (الإسلامية) في تركيا ؛ لتنشأ على أنقاضها دولة أتاتورك (اللا دينية) بتعاون وثيق بين أركان (الصليبية) العالمية..

•وفي سبيلها أقيمت على أنقاض تلك الخلافة فروع الكيانات السياسية العلمانية بحدود (سايكس – بيكو) وهي الكيانات التي اشترط الغرب للاعتراف بـ« سيادة » كل منها عدم المساس بـ(أمن إسرائيل) والاعتراف بحقها الكامل في (البقاء الآمن)، سواء كان هذا الاعتراف بصورة رسمية ، أو في شكل مهادنة دائمة ، أو مداهنة مائعة .

•ولأجل هذا (الأمن).. كُبلت الجيوش العربية، وحُيدت القوى الإسلامية الرسمية، وحوربت القوى الحرة غير الرسمية، وشُنت ضدها مواجهات تاريخية، انتهت في العقود الأخيرة بما سُمي : (الحرب العالمية على الإرهاب)..!

•ولاستمرار (أمن إسرائيل) .. تم تحويل أكبر نصر عربي ـ في حرب أكتوبر ٧٣ ـ إلى منطلق لهزائم الاستسلام المسماة بمبادرات السلام، والتي تخطت أكبر قوة عربية ـ وهي مصر ـ إلى أصغر الإمارات جغرافية في الجزيرة العربية، ريثما تُسلم بحتمية هذا الاستسلام المملكة السعودية..!

•وكذلك؛ فمن أجل ضمان أمن « إسرائيل » على المدى الطويل؛ جرت وتجري محاولات تغيير القناعات الثابتة لدى أجيال الشعوب العربية والإسلامية باسم « التطوير » في المناهج الدراسية والرسالة الإعلامية، إضافة إلى الرغبات المحمومة في التغريرالثقافي باسم تغيير الخطاب الديني.

• كما أن من مستلزمات (أمن إسرائيل) ضمان تسريع مسارات المشروعات الأخرى المعادية للصادقين من أهل السنة ؛ باعتبار أنهم وحدهم هم من سَيلْقى اليهود حتفهم على أيديهم.

•وللوصول مزيد من (أمن إسرتئيل) جرى ويجري حرمان شعوب وكيانات أهل السنة من الأمان، ضمن خطط تمكين الأقليات الدينية والمذهبية ..

•وفي سياق تثبيت أمن هذه (الإسرائيل) تجري مخططات تسريع خطى تغيير أنظمة والإطاحة بأخرى ؛ بحسب مواقفها من الأمن، كما دلت على ذلك أحداث غزو العراق ثم أحداث سورية، وغالب أحداث ما بعد الثورات العربية.

•وتحقيقًا للوصول للمقصد المأمول في تأمين اليهود؛ يتم توظيف وسائل التضليل الإعلامية في توصيف وتصنيف كل التجمعات والاتجاهات

الإسلامية، بحسب مدى تأثيرها في عرقلة المسارات الصهيونية، فبعد محاولات استئصال الجماعات الجهادية جرى استهداف الكيانات السياسية السلمية، وفي مقدمتها التجمعات ذات التوجهات الإخوانية، وكذلك الكثير من الاتجاهات الجادة السلفية.

•عند التأمل سنجد أن « ضمان أمن إسرائيل » يتضمن في جوهره الحقيقي التوسع خارج فلسطين، ضمن خريطة (إسرائيل الكبرى) ؛ لأن أمن اليهود لن يكون مأمونًا إلا بذاك التوسع ؛ وهذا هو جوهر ما عُرف مؤخرًا بـ (صفقة القرن).

•وتبين أيضا أن الاعتراف العربي (الضمني) بالقدس عاصمة لدولة اليهود؛ كان شرطًا غير مكتوب على المطبعين، خاصة بعد الاعتراف الرسمي بذلك من الأمريكيين؛ في خطوة تشجيعية وتمهيدية لخطوات مقابلة مقبلة « من (ولاة الأمر يكان)..!!

•ولا يخفى كذلك أن ذاك الاعتراف الأمريكي لليهود بالقدس عاصمة لهم؛ هو اعتراف ضمني أيضا بشرعية تهويدها ، وحتمية إزالة الأقصى من مكانه، ثم ضرورة بناء الهيكل اليهودي الثالث فوق ركامه ؛ حيث إن (أمن إسرائيل) و»حق» شعبها في ممارسة طقوسه التعبدية لا يتم إلا في المعبد الكبير الخاص بهم، والذي يُعد في صلب معتقدهم ..

ولقد أثبت التسارع والتهافت العربي الرسمي الأخير ـ قبل طوفان الأقصى ـ نحو الاعتراف بدولة اليهود وبحقها الدائم في الأمن والوجود أن هذا المعدل السريع في التنفيذ والتفعيل للتطبيع؛ كان أمرًا مبيتًا ، بل ومبرمجًا ومجدولاً لأغراض كبرى، ولكن طوفان الأقصى كان الحدث الكبير الذي عطل هذا المسير.

نصارى العالم و(أمن إسرائيل)

نظرية (أمن إسرائيل)لا ينبغي أن يفهمها المسلمون على أنها فقط عقدة يهودية؛ بل هي أيضًا عقيدة نصرانية (كاثوليكية وبروتستانتية وأرثوذكسية) فجميع هذه الطوائف التي تؤمن بعودة المسيح وحكمه للعالم من « أورشاليم » (القدس) ودعوته للخلاص من الهيكل بعد إعادة بنائه؛ ترى جميعها ضرورة حماية (أمن إسرائيل) لأن اليهود الذين كفروا بعيسى عبر التاريخ الميلادي؛ سوف يؤمنون به ـ في اعتقادهم ـ بعد تحقق ما سبق من علامات ، ويكون من أخلص جنوده هو الجندي اليهودي !

لكن البروتستانت الذين يعتقدون قدسية التوراة قبل الإنجيل؛ ويدينون بغالبية ما يدين به اليهود في النواحي الاعتقادية ؛ يبالغون في توكيد إيمانهم بـ (أمن إسرائيل) حتى يعود المسيح المُخلِّص؛ معتقدين أن هذه العودة ستكون أقرب؛ كلما دعموا اليهود ومكنوهم من تحقيق وتطبيق مشروع « إسرائيل الصغرى » على أرض فلسطين كلها ؛ للوصول من خلاله إلى « إسرائيل الكبرى » على الأرض الممتدة من النيل إلى الفرات بتمامها ..!

وعندما يتم تأمين ذلك الكيان الموهوم ضمن

تلك الحدود التي تمثل الحدود القديمة لدولة اليهود المرموز لها بنجمة داود ؛ تكون الأرض مهيأة في اعتقادهم ـ لمسيحهم حتى يعود.. لأن عيسى أيضًا من نسل داود..!

والنصارى الذين يعتقدون أن المنتظر العائد في آخر الزمان هو عيسى ابن مريم بذاته؛ يخالفون اليهود الذين ينتظرون مخلصًا خاصًا بهم ، ويعدونه آخر أنبيائهم؛ ومع ذلك فإن الطرفين يتعاونان - برغم بغض بعضهما بعضًا وتكفير بعضهما بعضًا – في التهيئة لمجيء مُخلِّص موعود برغم اختلافهم في تعيين شخصه.. ريثما يأتي هو فيلتحق به من هم أولى به.. !

ولا شك أن معرفة تلك الأبعاد الدينية الأسطورية الصانعة لكثير من الواقع ـ والقابعة خلف منظومة من المواقف السياسية والترتيبات الإستراتيجية؛ تحل إشكالات كبيرة في فهم وتفسير هذا التعاون غير المفهوم وغير المحدود بين طوائف النصارى وكيان اليهود في كل مراحل الصراع مع العرب والمسلمين.

إن نصارى البروتستانت خاصة؛ كانوا ولا يزالون في مقدمة المركب اليهودي؛ ليوصلوا بركب أمتي الغضب والضلال بعد مسير طويل لفتنة المسيح الدجال .. !

الإسلاميون والعقبة الكبرى

يحتاج المسلمون عمومًا - والإسلاميون منهم خصوصًا - أن يستحضروا الحقائق المذكورة آنفًا ويتذاكروها كلما تشتت بهم الفكر أو ران على أذهانهم مايردهم عن مواجهة ما يُراد بهم، خاصة في خضم الأحداث التي اشتعلت فشغلت حول القدس والأقصى .

وإن فهم هذه الحقائق وتذكرها والتذكير بها؛ يمكن في ضوئه الإلمام بخلفيات كثير من الأحداث والوعي بأبعادها، كي تستبين السبيل للخاصة فيتحسسون خطواتهم؛ وتنجلي الرؤية للعامة فيختارون مواقفهم؛ بعد أن يرتبوا أولوياتهم في مواجهة أعدائهم ومن يدور في فلكهم.

وينبغي أيضا للعرب والمسلمين - على كافة مستوياتهم - أن يفهموا أن وراء مسارعة اليهود لاستكمال تهويد القدس وتفريغ غزة وإخضاع الضفة؛ رغبة محمومة في التعجيل بهدم الأقصى وبناء الهيكل الثالث، فالمخطط الذي بدأ التحرك له منذ أكثر من مئة عام؛ بدأ اليهود وأعوانهم يتصرفون على افتراض اقترابه من الوصول والتمام، وهم وإن كانوا قد تحرك وا بقوة وانتظام قبل طوفان الأقصى؛ فلن يتوقفوا بعده، بل قد يشدون السير ويختصرون المراحل إلا أن يجدوا صدًا

وردًا يردعهم ويرجعهم.

وليتذكر المسلمون ـ والعلماء والدعاة وقوى المقاومة ـ أن الصهيونيين – من يهود ونصارى ـ لم يقيموا الدولة اليهودية ويقووها ويأمنوها؛ ولم يحتلوا القدس ويهودوها؛ ولم يخضعوا بلاد العرب حولهم ويكبلوها؛ إلا من أجل استكمال معالم الدولة الدينية اليهودية العالمية؛ التي يعدون القدس عاصمتها « الأبدية الموحدة » والهيكل قبلتهم الت كانوا عليها وظلوا يولون وجوههم شطرها، ويعتقدون عدم قبول العبادة والطقوس إلا بعد « التطهر » في محرابها ؛ ولهذا لن يتنازلوا عنها بعد أن وصلوا إليها وتحكموا فيها؛ إلا إذا وجدوا الرد القوي والردع الأبي من رجال أولي بأس شديد، يجوسون خلال ديارهم ؛ ليتبروا ما علوا تتبيرًا.

واليهود ومن ورائهم يفهمون هذا المصير جيدًا ؛ ولهذا يضعون شرفاء الأمة من أنصار الدين المخلصين في مقدمة قوائم الاستهداف ؛ فهم الهمّ الأكبر والعدو الأخطر الذي يهدد « أمن إسرائيل »! ولهذا شنوا وليزالون يشنون عليهم الحرب العالمية باسم « الحرب على الإرهاب «، مع أن أحداث غزة جسدت فيهم المعنى الأخس والأخبث للإرهاب..!

❋❋❋

طوفان الأقصى

بين رغبات العباد وإرادة رب العباد

الشيخ
أبو الهيجاء مضر

معركة طوفان الأقصى المشرّفة التي انطلقت على أرض غزة فلسطين في ساعات الفجر في يوم السابع من أكتوبر، لم تحدث فحسب طوفانا حقيقيا يسير نحو الأقصى المبارك محررا، ولكنها أحدثت زلزالا حقيقيا زلزل الوضع الدولي والإقليمي والمحلّي، وعرّى المشاريع والكيانات السياسية القائمة، وهي محطّة وسنّة في الفرز لازمة في طريق النّصر.

لقد حقّق مجاهدونا الأبرار بطولات يندر وقوعها في التاريخ البشري والعسكري ، بالنظر إلى موازين القوى القائمة وغير المتكافئة، وكان ذلك منذ اليوم الأول من المعركة وفي خطة الهجوم المحكمة، ثم أعقبتها أحوال نحن فيها من يموت ونقتل ونذبح ونشرد ونجوع ونعطش، حتى بتنا نصرخ في كل محفل أن أوقفوا القتل وأوقفوا الحرب قبل أن يهلك من بقي من قومنا صامدين ومن بقي من مجاهدينا الأبرار مرابطين يذودون بأرواحهم في مقارعة مع عدو جبان ينال من أطفالنا ونسائنا وشيوخنا من الجوّ وهو في مأمن، في ظل تخاذل عربي رسميّ وتواطؤ غربي غير إنساني وغدر إيراني وقح وإدارة أمريكية متوحشة للمعركة !

فما الذي أردناه وما الذي تحقق وما هو السبيل ؟

رؤية وارادة وخيار المقاومة الفلسطينية عند التيار الوطني والاسلامي في فلسطين

من نافلة القول أن قيادة المقاومة الفلسطينية سواء في حركة حماس أو الجهاد أو ألوية الناصر صلاح الدين أو كتائب شهداء الأقصى تقف على ثغر عظيم من ثغور المسلمين في فلسطين، وهي معنية بتحرير الأقصى المبارك وعموم الأرض المباركة فلسطين، وازالة الاحتلال الصهيوني الذي يستهدف عموم الأمة ودولها وشعوبها، والذي قرر الغرب معه ومن خلاله أن يتّخذ من فلسطين قاعدة لأعماله العسكرية والسياسية التي تسعى للنيل من عموم الأمة وتحطيم مشاريعها النهضوية واحدة تلو الأخرى .

واذا كان أهل كل دار من الديار وكل شعب من الشعوب، يقاتل لأجل قضيته، فان الله قد اختصّ أهل الأرض المباركة وساكنيها بأن يقاتلوا لأجل الأمة جمعاء ولأجل قضايا المسلمين عموما، وهذا فضل الله يختصّ به من يشاء . لقد وعت القيادات الفلسطينية الصادقة منذ زوال الخلافة الاسلامية أن قضية فلسطين مختلفة ومتميّزة عن كل قضايا العرب والمسلمين باعتبار أربع جوانب تميّزها عن غيرها :

١-وجود المسجد الأقصى المبارك على أرضها.

٢-حجم الارث القرآني والنبوي والوعود الربانية المرتبطة بها.

٣- تمركز المشروع الصهيوني الغربي المعادي لمجموع الأمة وثقافتها ودولها وشعوبها على أرض فلسطين .

٤-موقعها الجيوسياسي الذي يقع في قلب العالم العربي والاسلامي، ويتوسّط جناحي الأمة وساحتيها الفاعلتين في كل حقب ومراحل الصراع لاسيّما مع الصليبيين، وهما اقليم الشام الكبرى في قارة آسيا وأرض الكنانة المصرية في القارّة الافريقية .

الخلل الأول والعتيق

رغم الرؤية الواضحة والجليّة لخصوصية القضية الفلسطينية وارتباطها بالأمة سواء باعتبارها الثقافي الشرعي والمرتبط بالأقصى، أو باعتبارها السياسي لعداء المشروع الصهيوني الغربي لعموم الأمة ونيله المتتابع منها في كل جغرافيا المنطقة، أو باعتبارها الجيوسياسي الذي تتوسّط فيه أرض فلسطين بين آسيا وأفريقيا وتتمركز في قلب العالم الاسلامي وجناحيها

العظيمين مصر والشام ... رغم كلّ تلك الحقائق التي تجعل قضية فلسطين قضية أمة لا تنفك عنها الا أن التيارات الفلسطينية المقاومة سواء في الاتجاه الوطني أو الاتجاه الاسلامي وقعت في خطأ قاتل يكفي لوحده أن يزهق أرواح الفلسطينيين جيلا تلو جيل دون أن يحقق النصر، ومهما أنجز من بطولات يذهل أمامها المرء فإنها ستبقى بطولات فريدة لا تجلب نصرا ولا تبني خطوات تراكمية تقرّبنا منه مهما زاد عدد الشهداء ومهما تعاطفت معنا شعوب الأرض !

التيّار الوطني الفلسطيني

لقد انتهج عميد التيار الوطني الفلسطيني (ياسر عرفات) منهجا يبرز فلسطينية القضية ، بعد أن انسجم مع جمال عبدالناصر في عروبية القضية مستوليا عليها ومحيّدا للعالم الإسلامي عن التدخّل فيها، وما لبث العرب أن شكّلوا منظمة التحرير الفلسطينية لتكون الممثل الشرعي والوحيد، حتى أصبحت القضية قضية عصبية فلسطينية لا يقرر فيها ولا يتحدث عن خياراتها ومساراتها المتبنّاه إلا الطرف الفلسطيني لا شريك له !

ورغم أن التيار الفلسطيني الوطني خاض نضالا تخلّلته معارك وبطولات سطّرها التاريخ ، وهي لا تقلّ في زمانها عن روعة بطولات معركة طوفان الأقصى في جغرافيا متعدّدة وتواريخ متباعدة ؛ إلا أن ذلك انتهى الى تفكيك قوى التيار الوطني العسكرية المتعاظمة في أرض لبنان واخراجه من بيروت في حالة خذلان عربي فظيع وتواطئ دولي مريع، ومع ذلك لم يقم بإجراء مراجعة تجربته ولا بتصويب مساره، بل انتقل من قصور في رؤيته وخياره الى خلل واثم فظيع، وذلك حين انتهى الى عقد اتفاق خياني مع الاسرائيليين في أوسلو، وهو الاتفاق الذي تدفع كل فلسطين استحقاقاته، قتلا وتشريدا وافقارا وسجنا وهدما وسرقة متعاظمة للأرض، ويدفع الأقصى نتيجته قضما وتغوّلا، فيما المقاوم الوطني القديم يجلس على طاولة التنسيق مع القاتل والمحتلّ !

التيّار الاسلامي الفلسطيني

منذ انطلاقة العمل الجهادي في فلسطين بمرجعيّته الإسلامية على أيدي فتحي الشقاقي -رحمه الله- ورفاقه الأوائل ، وبعد أن أجرى تنظيم الاخوان المسلمين(فرع غزة) مراجعته الفقهية الشرعية وغير اجتهاده الذي كان يرى عدم جواز قتال اليهود الغاصبين إلا تحت راية إمام المسلمين، وبات يرى مشروعيّة قتال المحتلّين، فأنشأ تنظيما فلسطينيا مجاهدا أطلق

عليه اسم حركة المقاومة الاسلامية حماس، منذ ذلك الحين؛ استردّ الشعب الفلسطيني عافيته بعد أن وصل إلى هاوية خطرة في اتفاق أوسلو اللعين على أيدي قيادات التيار الوطني الفلسطيني، ممثلا بأكبر الفصائل الوطنية وعمود منظمة التحرير وهو حركة التحرير الوطني (فتح).

منذ تلك اللحظة وفي نهايات ثمانينيات القرن المنصرم بدأ التصويب الاسلامي للمسار الفلسطيني، لاسيّما وقد زاده زخما تبنّي الإخوان المسلمين للخيار القتالي الذي تفاعلت معه الحركات والشعوب في أصقاع الأرض، كما هرع اليه عموم أبناء الشعب الفلسطيني – حتى أبناء فتح- في ظلّ السقوط الوطني في فخّ التسوية السياسية مع الصهاينة، والتي زادها فحشا تنصّل الراعي الأمريكي الضامن للمفاوضات وتركه لعرفات لقمة سائغة في فم الذئب الإسرائيلي الذي قتله .

ورغم أن حركة حماس اختارت اسم الشيخ السوري عزالدين القسّام باعتباره أوّل وأبرز من قاد الجهاد ضد الإنجليز المحتلين والعصابات الصهيونية التي جلبها الإنجليز لفلسطين، واستشهد في جنين بالضفة الغربية؛ إلا أن حركة المقاومة الإسلامية حماس سريعا ومنذ بدايتها وقعت فيما وقع فيه ياسر عرفات (الخطأ الأول والعتيق) حيث تبنّت مسارا قتاليّا فلسطينيّا محصورا بفلسطين والفلسطينيين، داعية الأمة بأن تقوم بواجبها نحو فلسطين والأقصى في حدود الدعم المالي للمجاهدين، مطمئنة للنّظام العربي الرسمي بعدم مدّ جسورها في منحى الصراع العسكري نحو شعوب المنطقة لاسيّما دول الطوق المحيطة بفلسطين، وهي اليوم مستغربة ومندهشة لعدم قدرة الشعوب العربية الثائرة في الشوارع العربية في محيط فلسطين من المشاركة القتالية في معركة طوفان الأقصى والتحرير !

والحقيقة التي يمكن الوقوف عليها أن هناك سببين لوقوع حركة المقاومة الإسلامية حماس بالخلل الذي وقع فيه ياسر عرفات والتيار الوطني عموما، أحدهما سبب مشترك بين التيار الوطني والإسلامي، والآخر مختلف ومنفصل :

السبب الأول والمشترك : أن حركتي فتح وحماس استهدفتا تحقيق مكسب السلطة والحكم في سياق مسيرة التحرير وفي ظلّ المحتلّ ! وهما أمران لا يجتمعان عند من يعي معنى مشروع التحرر الحقيقي وانتفاء سويّته في ظل مشاركة سياسية في ظل المحتل وعلى أرضيته، وذلك لأجل تحصيل مكاسب سلطوية تتناقض كليّا مع مبدأ ومسار التحرير !

السبب الثاني والمختلف : أن حركة حماس باعتبارها ذراع تنظيم الإخوان المسلمين، ورثت من التنظيم معضلة منهجية حقيقية في طريق وسلوك التغيير الذي تتبنّاه الجماعة في كلّ فروعها وأقطارها، وهي القطرية البغيضة، حيث يتبنّى التنظيم الأم مبدأ العمل القطري في بعده المنهجي وليس في بعده الإداري، وهو ما يبيح لذراع التنظيم –وفق رؤيته القاصرة- أن يقيم تحالفات سياسية مع أعداء الأمّة

وفق مصالح قطرية سواء في مرحلة اليسر أو العسر، وسواء في وجود الضرورة أو انتفائها ، طالما يجلب مصلحة ومنافع للتنظيم، حيث تشهد على ذلك علاقة حماس مع ملالي طهران التي بدأت بعد ثلاث سنوات من انطلاقتها سنة ١٩٨٧، والتي تعززت بمكتب رسمي لها في طهران بعد خمس سنوات من انطلاقتها ١٩٩٢، والتي شرعنتها زيارة الشيخ أحمد ياسين -رحمه الله- لطهران عام ١٩٩٨ ، وكلّ تلك الخطوات سبقت مرحلة الضرورة المزعومة والخذلان الرسمي للنظم العربية، والمستخدم في سياق تبرير وتسويغ التحالفات الخاطئة مع عدو ومحتل !

أعود فأقول ان التيار الإسلامي الفلسطيني ممثلا بحركتي حماس والجهاد بدأ تصويب المسار الفلسطيني الذي انحرف وهوى في قاع سحيق على يد قيادات فلسطين الوطنية في حركة فتح، ومنهم أبومازن محمود عباس المنسجم مع ياسر عرفات في جذر خطوة التطبيع الآثمة، بغضّ النظر عن إيقاع المواقف وشكل التعاطي واختلاف الأسلوب وقوة الخطاب .

ولكنّ التيار الاسلامي الفلسطيني لم ينج من الخطأ الأول والعتيق حين غاب وعيه -بقصد أو بدون قصد- عن حقيقة أن فلسطين قضية أمة، لها استحقاقاتها في كلّ المناحي وليس فقط في منحى التبرع المالي، بل حتى البعد القتالي والعسكري والجهادي الذي يستهدف الصهاينة المحتلين، لاسيما وفلسطين لم تتحرر في تاريخها من داخلها، ولا يكفي إعداد أهلها _مهما بلغ _لأجل تحريرها بمعزل عن أمتها عند أي عاقل ومدرك للتاريخ !

الكارثة الكبرى

وحين تعاظمت قوة الفلسطينيين ونهضت الأجيال الشبابية الرافضة لمسار التطبيع، وحين تعاظم تغوّل العدوّ الاسرائيلي وباتت المقاومة متصاعدة -وهذا فضل من الله عظيم- لم تسلك المقاومة الفلسطينية قبلتها الصحيحة باتجاه أمتها وشعوبها المسلمة المتحرقة لأجل القتال في الأقصى، ولم تمدّ جسورها نحو شعوب الأمة وحركاتها السياسية وتنظيماتها الحركية لتأخذ دورها في عملية التحرير، فهذا يتعارض مع هدف تحقيق السلطة، بل ذهبت من جديد وبشكل عميق لطهران ، وأعلنت عن مشروعها (وحدة الساحات) الذي يجمع المؤمنين المجاهدين مع قتلة الموحدين وهادمي بيوت الله وهاتكي أعراض بناتنا وقاتلي علمائنا الربانيين في كل محيط فلسطين !

إرادة الله جلّ جلاله

هو العظيم سبحانه لا إله إلا هو ولا شريك له ولا قوي غيره يقدّر الأمور كيف يشاء ولا يختار لعباده الصادقين إلا الخير .

قـدّر اللـه سـبحانه وتعـالى غـير مـا قـدّره عبـاده المسـلمين، وغـير مـا أراده عبيـده الكفـرة والمنافقـين والمحاربـين.

وبغـضّ النّظـر عـن الروايـة الحقيقيـة الكاملـة – غـير المنقوصـة- لمعركـة طوفـان الأقـصى المشرّفـة، وحقيقـة علاقـة إيـران بهـا والتـي يتفـق عـلى نفيهـا الأمريكيـون والإسرائيليـون والإيرانيـون وقـادة حـماس السياسـيين –والذيـن أخالفهـم جميعـا في هـذا-، إلا أن الـذي قـرّر المعركـة ورفـع سـقفها للدرجـة القصـوى لم يكـن أرعنـا بـلا عقـل ولا مسـؤوليّة بـل راهـن وعـوّل كامـل التعويـل عـلى إيـران وفروعهـا في السـاحات التـي حدّدهـا منـذ شـهور عديـدة ونطـق بهـا علنـا في مواقـع كثـيرة بعـض قـادة حـماس لاسـيما في لبنـان.

وهنـا يجـب تقريـر حقيقـة خلـل منهجـي سـياسي وعسـكري عنـد حركـة حـماس، التـي نسـجت قنواتهـا وبنـت جسـورها العسـكرية مـع إيـران ومحورهـا وفروعهـا في السـاحات، رغـم أن إيـران نجحـت في تفريـغ محيـط فلسـطين القريـب والمتوسـط مـن أهـل السـنة الثائريـن ، فيـما ابتعـدت تمامـا ومنـذ نشـأتها عـن نسـج خطـوط قتاليـة وجسـور تنظيميـة وسياسـية مـع حـركات وتنظيـمات وشـعوب المنطقـة لتطمـئن الأنظمـة العربيـة أنهـا لا تتدخـل في شـؤونها مطلقـا ولا تتدخـل في شـؤون الآخريـن !

كـما يجـب هنـا تحميـل المسـؤولية عـن حجـم أنهـار الدمـاء النازفـة والبيـوت المهدّمـة والعائـلات التـي أبيـدت أو شرّدت لإيـران اللعينـة التـي سـلّحت ودرّبـت وسـمّنت المقاومـة ثـمّ أسـلمتها لإسرائيـل المعتديـة وأمريـكا التـي تديـر المعركـة والمنطقـة .

قدّر الله وشاء غير ما أراده وقدّره البشر ...

فلـو أن إيـران دخلـت في المعركـة –كـما راهنـت وعوّلـت وأرادت قيـادة حـماس والجهـاد- وحـرّرت فلسـطين أو أزالـت كيـان إسرائيـل كـما روّجـت في سرديتهـا الممتـدة مـن مشـارق الأرض إلى مغربهـا، لكفـر نصـف أهـل الأرض ولتشـيّع النصـف الآخـر، ولضيّـع ديـن اللـه وغابـت ملّـة ابراهيـم وطمسـت حقائـق الديـن !

ولـو أن النظم العربية الفاجرة والكافرة ؛ استجابوا لنـداء العلـماء الغيوريـن للنفـير نحـو فلسـطين وتحريـر أقـصى المسـلمين، لفـتن الموحـدون وكفـر جـلّ أهـل الأرض، ولضيّـع ديـن اللـه وغابـت ملّـة ابراهيـم وأقيـم حكـم الطاغـوت في الأقـصى وفلسـطين !

أرادت القيادات السياسية شـيئا –عن صدق وإخـلاص- وأراد اللـه شـيئا آخـر، وأراد العلـماء والدعـاة المصلحـون شـيئا –عـن غـيره وصـدق- وأراد اللـه شـيئا آخـر، وإذا كان بنـو قومـي عـن مصلحـة حفـظ الديـن مغيّبـون، فـإن اللـه أراد لدينـه أن يحفـظ ويبقـى ناصعـا جليّـا نقيّـا ،لا تلوّثـه تحالفـات آثمـة ولا مراهنـات مختلّـة ولا دعـوات في غـير الاتجـاه الصحيـح .

نعـم لقـد حفـظ اللـه نقـاء دينـه بفضـل الدمـاء الزكيـة التـي نزفهـا المجاهـدون الصادقـون الأبـرار ، لتكـون كلمـة اللـه هـي العليـا في أرض غـزة العـزة وفي كل أرض فلسـطين، ولتنجـو الأمـة مـن مكـر وخبـث الأنظمـة العربيـة ، وتنجـو مـن مـآلات المـشروع الإيـراني المخـادع واللئيـم .

واذا أرادت الأنظمـة العربيـة ونظـام مـلالي طهـران أن تكـون كلمـة اللـه هـي السـفلى، فقـد

أراد الله أن يحفظ دينه ونقاء توحيده لتكون كلمة الله هي العليا، فكانت دماء المجاهدين الأبرار التي نزفت على أرض غزة -ولم يتوقف نزيفها مطلقا في القدس وجنين ومدن الضفة- سببا لتفاعل شعوب العرب والمسلمين مع قضية الأقصى باعتبارها مسألة عقيدة ودين تخصّ أمة الموحدين، وليست محصورة أو محدودة بالفلسطينيين .

لم يعط الله سبحانه -وهو العظيم- ولا سهما واحدا في معركة طوفان الأقصى المشرّفة للنظام العربي الطاغوتي، بل عرّاه أمام شعبه حتى بات خائنا جليّا وعميلا، وحرمه من نيل كرامة الأقصى وفلسطين، وكيف لا وهو ينحر عباده الموحدين ويسجن ويقتل علماءه ودعاته الصادقين، ويسرع في نشر الرذائل في كل بيت وناحية .

دلالة الإيمان بأن النصر من عند الله

لأن النّصر من عند الله فقد أسقط الله -نتيجة لدماء المجاهدين الزكية الصادقة- قيمة وأسطورة الغرب الديمقراطي الإنساني الذي يسعى لفرض نفسه ونظرياته وقيمه، وما لبث علمانيّو العرب يروجون له ويدعون لنظرياته ويأمرون الناس بتبنّي قيمه، ويسعون لتغيير دساتير المسلمين وتطويعها لمفاهيم الغرب المتحضّر الذي يزعم أنه يلتزم بالقيم ويقيم العدل ويعلي من شأن الإنسان وحريّته ! ففضحهم الله بألسنتهم وذلك حين فقد كل رؤساء الدول الغربية وحكوماتهم وعيهم أمام بطولات المجاهدين وقتال المؤمنين، فاختلّ توازنهم وسقطوا أمام شعوبهم أولا وأمام العالمين ثانيا، بسبب تصريحاتهم وخطواتهم المتوحشة وغير الإنسانية والعارية عن القيم والعدل، بل إن القيادة الأمريكية رمز تمثال الحرية والمتشدّقة بالديمقراطية ونصرة المظلومين أمعنت في تصريحاتها التي تحضّ على القتل السريع والمميت والساحق للأطفال والنساء وليس فقط للمقاتلين، الأمر الذي ألّب شعوبها عليها ولم تعد تنفعها تصريحاتها الجديدة بعد أن عادت لوعيها ودورها الماكر والمنافق والذي لم يكن يوما خلاف ذلك في أي حقب من حقبها وتجاه أي قضية من قضايا العرب والمسلمين .

يقول سبحانه وتعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (سورة المجادلة الآية ٢١).

ولأنّ النّصر من عند الله وحده، ولأنه متعلّق به سبحانه، فان تحقّق النصر لا تحول دونه ولا تمنع وجوده وفعله قوة الباطل ومعسكره مهما تعاظمت قوته وبطشه وجبروته، ولو لم يكن كذلك لما كان النّصر من عند الله ولا مرتبطا به -تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا- .

انّ هذا المعنى يدفعنا للتوقّف كثيرا أمام حقيقة غابت عن كثيرين، لاسيّما في ظلّ نظرنا وتركيزنا المتواصل للمعسكر الآخر ولأطراف الباطل والخذلان والغدر والخديعة التي نالت من دمائنا وأهلنا وديارنا وأيقظت فينا آلاما كثيرة وقروحا مؤلمة وكبيرة .

لقد علّق الله النّصر باستواء عباده على الصراط المستقيم، وجعل سقطاتهم في الطريق سببا لتأخّر النّصر، أما إن حادوا عن الطريق فذلك سبب لزوال النّصر مهما كانت في معاركهم من بطولات كبيرة ونفوس راقية

وقلوب لله متجرّدة .

ولأن سنن الله قد قضت بذلك حتى سرت على الأنبياء والمرسلين، فقد أنزل الله آياته معاتبا ومقرّعا ومصوّبا لصحابة رسولنا الكريم ومن هم بالجنّة مبشرين، وذلك في غزوات ومعارك عظيمة شهدها أفضل الخلق نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلّم وهو المؤيّد من الله سبحانه، فهل نعي تلك الحقيقة الإمانية والسنّة الإلهية في النصر والتمكين ونعيد المراجعة وننقد أنفسنا في كل جوانبنا الفكرية والمنهجية والسياسية ؟ أم نتوقف أمام وعند بطولات وفداء شبابنا المضحّين الأبرار ونروّج للعالمين أنفسنا وحركاتنا وتنظيماتنا وقياداتنا وننزّهها عن القصور والخطأ والتسبب بالهزائم والخسران ؟

النقد الواجب والمراجعة اللازمة وموقف العلماء الأصيل

لن تفلح أمّة ولن تنجح حركة ولن يستقيم مسار التغيير في الأمة دون انقياد خلف رؤية شرعية سليمة، وفهم واقعي عميق ومنضبط بمعايير الدين، يكون على رأسه علماء ربانيّون عن العصبيّة التنظيمية والجهويّة متنزهون، ولعموم أمتهم منحازون، وبقضايا أمتهم مهمومون ومنشغلون، وهم هؤلاء ورثة النبيين المقصودون .

لقد جانب الصواب بعض الدعاة والعلماء المتعصبين والخفيفين الذين طاشت عقولهم في أول يوم من أيام المعركة المشرفة على أرض غزة فلسطين حين أبدعت سواعد المجاهدين قطفا في رؤوس المحتلّين، ثم ما إن بدأ الهجوم الأمريكي الغربي الصهيوني الإسرائيلي في الأيام التالية وحقق فينا أنهارا من الدماء وجعل غزة تبدو غروزني فلسطين، حتى بدأت بعض تلك الأقلام تكتب أوراقا وكتب بعضهم مؤلفا يتحدّث فيه عن بدهيّة وضرورة وسيرورة قتل المدنيين واستشهادهم اللازم في معارك التحرير ! موقف لاشك عليل ومعتلّ في النّظر الشرعي وميزان القيم السوي، فالإسلام شرعة لم تأت إلا لتحفظ الدماء، وموسى عليه السلام لم يبعث إلا مخلّصا لعباد الله من ظلم وبطش فرعون الذي استحلّ الدماء، وقتل المسلم لا يجوز ولا يعتبر فيه الإكراه، وكثير من الأحكام والآيات والأحاديث التي بيّنت قيمة وحرمة الدماء حتى جعلتها فوق حرمة بيوت الله ومساجده الحرام .

وأزعم أنه لو كان على رأس معركة طوفان الأقصى أيمن الظواهري -الذي لا أتفق معه منهجيّا رحمه الله- وتسبب في قتل هذا العدد من نساء وأطفال المسلمين في غزة وعموم فلسطين، لقامت تلك الأقلام وهذه الألسن لتتّهمه بالاستخفاف بدماء المسلمين وعدم الرشد وانتفاء السوية، وأصدرت كتبا وبحوثا علمية تستشهد بالقرآن الكريم وتستنطق السنة والسيرة النبوية لتثبت حجم خطئه وعظيم جرمه في حق شعب فلسطين والأمة !

لا أقول هذا إلا بقصد الإشارة إلى غياب حقيقي لدور فاعل لعلماء الدين الربانيين، فالقائم الآن هو شيوع دور الدعاة الطيبين - الدراويش- وعلماء التنظيم المروّجين، ولن تنجو

الأمة وتخرج من عثراتها وتتجاوز أخطاءها المرحلية إلا بدور مختلف وصوت مختلف ومنهج مختلف ونفسية شجاعة وجريئة ومختلفة عن الرائجين، حتى يكون هناك نظر وتدبّر ومراجعة بالمعنى القرآني الذي جسّدته آيات كثيرة في معارك وغزوات النبي صلى الله عليه وسلّم، والتي اعترتها أخطاء من خير الخلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم صحابة كرام معدّلين، فكيف السبيل ؟

التمييز والتفريق اللازم في سياق الفهم والنّقد الواجب

لابدّ من التفريق بين مكونات ثلاثة في المشاريع الإسلامية ، وعلى وجه الخصوص في التجربة الفلسطينية المريرة.

أولا : المكوّن الجهادي

أبدع المكوّن الجهادي والقتالي في فلسطين في كلّ حقبه التاريخيّة، حيث لم تخل الديار المباركة في فلسطين في أي حقبة من حقبها من مناضلين ومقاومين ومجاهدين منذ زمن الاحتلال الانجليزي لفلسطين وبعد أن حلّ الصهاينة اليهود الغاصبين وحتى يومنا هذا، سواء في الفترة التي اعتلى فيها سدة فلسطين الوطنيون أم الإسلاميون. فثقافة الشعب الفلسطيني واحدة وهي مرتكزة وقائمة على معاني القرآن الحكيم وسيرة النبي الأمين صلى الله عليه وسلم، وإن ما يراه الناس اليوم في غزة والقدس ومدن الضفة؛ قد رآه ورواه غيرهم من آبائنا ومشايخنا ومجاهدينا الثقات الصادقين في فلسطين، وتواتر عن كثيرين وحفظت كثيرا منه الذاكرة الفلسطينية ، سواء المحكية والمنقولة من جيل إلى جيل أو المدونة في الموسوعات والكتب الفلسطينية الكثيرة والمحفوظة.

لقد أبدع المجاهدون الصادقون الأبرار في معركة طوفان الأقصى حتى أدهشوا العالمين، ورفعوا سقف الأمة عاليا، وأعادوا للناس ثقتهم بتاريخهم والأمل بمستقبلهم، بعد أن دكّوا حصون الباطل وأنهوا أسطورة القوة التي لا تقهر في اسرائيل، بعد أن باتت تقهر وتذلّ وتداس في عقر ديارها وقلب مستعمراتها وداخل ثكناتها ؟

ثانيا : المكوّن القيادي

لقد حظيت فلسطين بقيادات عظيمة ومضحية، ولكنّها كانت دائمة قاصرة في جانب من جوانبها التي تؤخر النصر وتعرقله، فعنوان الدين لا يكفي وحده ليجلب النصر، بل الفهم العميق والموقف السديد من الناحية الشرعية والسياسية والأخلاقية شرط لازم لنجاح تلك القيادة -وأي قيادة- لاستثمار دمائنا النازفة في مسيرة تحرير حقيقية وتراكمية، وليست هدرا مكرّرا للدماء، أو كمّا مهولا من التضحيات لا يكافئ مطلقا حجم الثمرات المجنيّة.

إن ما يميّز القيادات عن القواعد هو وعيها العميق وسويّتها على الصراط وثباتها أمام الأنظمة والطواغيت وزخرف الدنيا، ولا يجوز في حقّها أن تجرّب بدماء النّاس معوّلة على أوهام، ثم تبرر حجم خسائرها والقتل والتدمير الكبير باستحقاق معارك التحرير لتخفي خطأ اجتهادها وسوء فهمها !

إن التعامل القائم في فلسطين ومسارها التحرري والذي يجعل قيمة وحرمة الدماء أقل

من قيمة المسجد الأقصى المبارك؛ هو تعامل غير سويّ ولا هو شرعيّ، فالقائد الذي يتحمّل أمانة الدين والعرض والأرض والدماء يستهدف تحقيق أهداف سياسية حقيقية لصالح القضية في المعارك التي يختارها والتي لابدّ أن تسقط فيها الدماء الزكية، دون استخفاف بحرمتها والتغطية على أخطائه المرحليّة هروبا من الحساب، فهل ستحظى فلسطين بقيادات ربانية تعيد قراءة التجربة وتقبل النقد وتنقاد للنصح وتصحح مواقفها وسياساتها وتقلع عن مقولاتها الهشّة وأوهامها المكلّفة، وتعيد مدّ جسورها في الاتجاه الصحيح خارج المعادلة القطرية وبعيدا عن حلفها مع محتلّي عواصم بلاد المسلمين وأعداء الأمة والدين ؟ هذا ما يتمنّاه كل مسلم ، وإن تحقّق فهو من بركات معركة طوفان الأقصى وتضحيات رجالها الصادقين بإذن الله.

ثالثا : المشروع بين الشكل والمضمون

إن خصوصية القضية الفلسطينية التي تجعل شعبنا الفلسطيني والشعوب العربية والإسلامية مستعدّة للتضحية والبذل من أموالها وأنفسها وديارها واستقرارها وأمنها هو أنها قضية اسلامية بامتياز ، وجزء من عقيدة المسلمين، كما عبّرت عنها رحلة الاسراء والمعراج وكما يعبّر عنها الأقصى المبارك الذي يرتبط به ويعظّمه كل موحّد لله ومؤمن به . لذلك فإن عنوان الدين هو أكبر وأقوم عنوان للمسار الفلسطيني الواجب من حيث الشكل والمضمون، وهو ما يستوجب أن تكون المشاريع الفلسطينية التحررية مرتبطة بشكل حقيقي وكامل بعموم الأمة، بحيث تعطيها الحق والفرصة في تحمّل دورها الإسلامي تجاه فلسطين في كل منحى من مناحيها، ابتداء بالدعاء وانتهاء بالقتال، من خلال مدّ جسور فلسطين مع الشعوب العربية والإسلامية الثائرة والصبر عليها والتفاعل مع قضاياها، بديلا عن الحلف مع أعداء الله الملالي الإيرانيين الذين صادروا حقّ ودور الأمة في فلسطين، لاسيّما وأن فلسطين لم ولن تتحرر في تاريخها من داخلها بل كان دور ساكنيها دائما هو التصدي للمحتلّ ومنعه من التوسع وتحريض المؤمنين على القتال، وهو الفهم الذي يجب أن يضبط إقاع وشكل وسقف المعارك في فلسطين حتى تتصحّح أوضاع الأمة في محيطها لاسيّما اللصيق.

إن مضمون المشروع المنسجم مع شكله، يقضي بأن يكون لأي مشروع تحرري صحيح هدفان رئيسيان هما، تحرير فلسطين من المحتلين، وإقامة شرع الله والتمكين لدينه وحكمه، وهو ما لا يستقيم مع حلف عدوّ يمتلك مشروعا كامل الأركان لهدم الدين وطمس حقائقه وقتل أهله وعلمائه .

ومع معركة طوفان الأقصى المبارك وبعدها؛ لابدّ للخروج من التيه الفلسطيني القائم

من خلال إعادة النّظر فيه من حيث شكله وجوهره، حتى ينسجم ظاهره مع باطنه ومضمونه، ويترجم صدقيّته بفعل وخطوات سياسية تحقق مكاسب حقيقية -وليست موهومة- في صالح فلسطين بحيث لا تصطدم ولا تتعارض مع مصالح الأمة والدين .

الخلاصة

من نافلة القول أن معركة طوفان الأقصى معركة مشرّفة تعبّر عن رصيد الأمة الحيوي وإيمانها العميق، كما تعبّر عن حقائق غابت عن كثيرين في طبيعة الصراع القائم وجوهره العميق، وكما فضحت مشاريع الباطل ومحاوره الدولية والإقليمية، فبيّنت جوهر وحقيقة المشروع الغربي الصهيوني الذي تقوده أمريكا، كما كشفت عن استخدام المشروع السياسي الإيراني للمسألة الفلسطينية بعد أن غدرت بشعبها وفصائلها والمجاهدين، وتسبّبت في حجم الموت والدمار الذي أوقعه الإسرائيليون بأهل غزة خصوصا وأهل جنين والضفة والقدس عموما، كما عرّت النظام العربي الرسمي وزادت الفجوة القائمة بينه وبين الشعوب .

ومع أن معركة طوفان الأقصى الحالية لن تحرر الأقصى المبارك، والذي لا تزال أمامه استحقاقات ، على رأسها تصحيح أوضاع الأمة باعتبارها المحرر الحقيقي لأقصى المسلمين، إلا أنها أحدثت زلزالا حقيقيا كشف عن هشاشة الباطل وقبح مشاريعه، وهي خطوة ومرحلة لازمة في طريق استحقاق النصر المبين .
لكن التركيز الكبير على معسكر الباطل المتمثل في الغرب واسرائيل وإيران والنظام العربي الرسمي، لا ينبغي أن يجعلنا نغفل عن حقيقة أخطائنا المنهجية والحركية والسياسية التي وقعنا فيها وهي سبب في تأخير النصر . ولا شكّ في أهمية وضرورة دور العلماء الربانيين الذين يتنزهون عن العصبية الحزبية والجهوية والقطرية، والذين ينحازون لمصالح عموم الأمة ويحفظون دين الله ونقاء التوحيد في كل اجتهاداتهم وأقوالهم الشرعية وخطواتهم السياسية .

رحم الله شهداءنا المضحين، وثبت الله شعبنا المناضل والمسكين، وعزّز الله مجاهدينا الأشاوس الميامين، وأصلح الله أوضاعنا وأوضاع المسلمين، حتى يتحقق تحرير أقصى المسلمين كما حقّقه الناصر صلاح الدين.

***

طوفان الأقصى

بين الواقع والمتوقع

أ. أنور الخضري

في السَّابع مِن أكتوبر ٢٠٢٣م، فاجأت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) العالم بعملية عسكرية هي الأولى مِن نوعها على المستوى الفلسطيني والمقاومة الفلسطينية، وعلى صعيد تاريخ الصِّراع وجغرافيَّته، وعلى قدر العملية ونوعيَّتها. حيث أغارت قوَّة مسلَّحة مِن كتائب القسَّام على عدد مِن المستوطنات الصُّهيونية في محيط قطاع غزَّة، متجاوزة الحواجز والعوازل الممتدَّة على طول الحدود الفاصلة بين القطاع ومنطقة الغلاف المحيطة به.

بـدأت كتائـب القسَّـام هُجومهـا بقصـف صاروخـي واسـع صَـوِّب عـلى مختلـف المسـتوطنات، بالتَّزامـن مـع اقتحـام بـرِّي مِـن قبـل المجاهديـن الفلسـطينيين عـبر سـيَّارات رُباعيَّـة الدَّفـع، ودرَّاجـات ناريـة، وطائـرات شراعيَّـة، ومنـاورات تضليليـة عـلى السَّـاحل.

ومـع سـقوط التَّحصينـات ونجـاح التَّشـويش عـلى الـرَّادارات وغيـاب أيِّ جاهزيـة للجيـش الإسرائيـلي والقـوى الأمنيـة الإسرائيليـة، تمكَّـن المقاتلـون مِـن الانتشـار بشـكل سريـع في المسـتوطنات، ومِـن اقتحـام قواعـد عسـكريَّة ومقـرَّات أمنيـة في سـديروت، ووصلـوا أوفاكيـم، واقتحمـوا نتيفـوت، وخاضـوا بعد ذلك اشـتباكات عنيفـة في المسـتوطنات الثَّـلاث.

كانـت حصيلـة هـذه العمليـة عـدد كبير مِن القتـلى والمصابـين في صفـوف العـدو الإسرائيـلي، تجـاوزت الألـف وخمسـمائة فـرد. بالإضافـة إلى أسر عـدد آخـر مِـن الجنـود والمسـتوطنين الصَّهاينـة، واقتيادهـم إلى قطـاع غـزَّة. وفضـلًا عـن ذلـك قـام المقاتلـون مِـن كتائـب القسـام، ومَـن تمكَّـن مِـن اللَّحـاق بهـم مِـن المقاومـين، بتدمـير عـدد مِـن الدَّبَّابـات والمدرَّعـات والمعـدَّات التَّابعة للجيـش والأجهـزة الأمنيـة، وغنمـوا عـددًا مِـن الأسـلحة والآليَّـات العسـكريَّة، ووقعـت أيديهـم عـلى قـدر مِـن الوثائـق والملفَّـات والمعلومـات الأمنيـة والعسـكرية.

وظلَّـت الاشـتباكات بـين المقاومـين الذيـن توغَّلـوا في المسـتوطنات الصُّهيونيـة، وتحصَّنـوا في بعـض المسـاكن والمبـاني، والجنـود الإسرائيليـين مسـتمرَّة لأكـثر مِـن (٢٤) سـاعة؛ في حالـة كشـفت هشاشـة الوضـع الدَّاخـلي لإسرائيـل ومقـدار التضعضـع الحاصـل في القـدرات الأمنيـة والعسـكرية والأجهـزة الاسـتخباراتية.

خلفية عملية طوفان الأقصى:

تـأتي عمليـة طوفـان الأقـصى في إطـار اسـتمرار ممارسـة الفلسـطينيين حقَّهـم المـشروع -في ضـوء مقـرَّرات الشَّرائـع السَّـماوية والأرضيـة- في مقاومـة عدوِّهـم المحتـل، والـذي اغتصـب أرضهـم وشرَّدهـم مِنهـا، وانتهـك حقوقهـم، وقيَّـد حرِّيَّاتهـم، وفـرض عليهـم أصنافًـا مِـن الحصـار، ومـارس عليهـم صـورًا مِـن البغـي والعـدوان، مهـدِدًا وجودهـم ومصالحهـم ومقدَّسـاتهم. فهـي حلقـة ضمـن سلسـلة التَّدافـع السُّـنني بـين شـعب مؤمـن احتُلَّـت أرضـه واعتـدي عليـه وبـين شرذمـة فاجـرة احتَلَّـت الأرض واعتـدت عـلى الأنفـس والأعـراض والأمـوال، ورفضـت الجنـوح لـكلِّ قـرارات المجتمـع الـدُّولي ونداءاتـه.

لقـد عمـل الكيـان الإسرائيـلي عـلى تحطيـم مـوارد الشَّـعب الفلسـطيني، وحرمانـه مِـن قيـام دولـة لـه، ورغـم كلِّ مسـاعيه لإضعـاف الشَّـعب الفلسـطيني وكـسر إرادتـه، وتوظيفـه لنخبـة سياسـية فاسـدة لتطبيـع وجـوده وممارسـاته، إلَّا أنَّ تصـدُّر الحركـة الإسـلامية في فلسـطين للقضيـة والمقاومـة مـع المحتـل أعـاد القضيـة مِـن مسـارها القومـي والتَّفـاوضي إلى المسـار الجهـادي المقـاوم. حيـث بـدأت انتفاضـة الشَّـعب الفلسـطيني ضـدَّ المحتـل بـدأت تنطلـق في ٨ ديسـمبر ١٩٨٧م، وهـي الانتفاضـة التـي ابتدأهـا الفلسـطينيون بإلقـاء الحجـارة عـلى الجنـود الإسرائيليـين، بعـد

أن أعلن الشَّيخ أحمد ياسين مع مجموعة مِن قيادات العمل الإسلامي في فلسطين عن قيام حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، في ٦ مِن ديسمبر في ذات العام.

استمرَّت الانتفاضة وقامت المقاومة الإسلامية بعدَّة عمليات ضدَّ قوى الاحتلال، وأجبرت المحتل الإسرائيلي على تغيير سياساته. وفي ١٥ أغسطس ٢٠٠٥م، بدأت إسرائيل بإخلاء مستوطناتها مِن قطاع غزة، فيما أسمته «خطَّة فكِّ الارتباط»، وهي خطَّة أحادية الجانب؛ لكنَّها في المقابل فرضت سيطرتها على منافذها البحرية ومعابر البرِّية وفضائها الجوي، ومارست عليه العدوان بثلاثة حروب أوقعت قتلى وجرحى ودمارًا واسعًا في القطاع.

في فلسطين الدَّاخل والضِّفة ظلَّت ممارسات إسرائيل مستمرَّة في قضم الأراضي الفلسطينية وتوسيع المستوطنات اليهودية، وانتزاع الأراضي مِن الفلسطينيين وإلجائهم إلى أضيق العيش، مِن خلال إجراءات تعسُّفية واضطهاد وحرمان مِن الحقوق . هذا فضلًا عمَّا تقوم به قوَّات الاحتلال والصَّهاينة مِن اقتحامات متتابعة للمسجد الأقصى ومساع محمومة في هدمه مِن خلال توسيع الحفريَّات تحته، بحثًا عمَّا يزعمون أنَّه هيكل لسليمان!

ومنذ ١٣ سبتمبر ١٩٩٣م، وتوقيع اتِّفاقية أوسلو، أو ما عُرِف بـ» إعلان المبادئ حول ترتيبات الحكم الذَّاتي الانتقالي»، لم يجر أيُّ تغيير على المشهد الفلسطيني، عدا عن تحويل منظَّمة التَّحرير الفلسطينية مِن كيان مقاوم إلى سلطة وكيلة عن الكيان المحتل، تقوم بإدارة شئون الفلسطينيين تحت سقف متدنٍّ مِن المهام والصَّلاحيَّات إلَّا في الجانب الأمني، حيث اعتُبرت منظمة «فتح» ذراعًا أمنيًّا للكيان الصُّهيوني ضدَّ أيِّ مكوِّن فلسطيني مقاوم.

وفيما كانت مسيرة المقاومة الفلسطينية تتصاعد؛ كانت وتيرة التَّنازلات الفلسطينية والعربية تتوالى، حيث بدأت الأنظمة العربية تميل إلى الاعتراف بإسرائيل والاتِّفاق معها، وإقامة علاقات دبلوماسية بغرض التطبيع، ابتداءً مِن مصر ثمَّ الأردن ثمَّ دول أخرى. وشيئًا فشيئًا بدأ الحديث علنًا بعد القضاء عن ثورات الرَّبيع العربي عن تطبيع العلاقات مع إسرائيل بشكل تامٍّ وفي إطار القضاء على القضية الفلسطينية وإحالتها إلى شأن إسرائيلي داخلي.

هذا التَّحوُّل الكبير في مسار الموقف والخطاب الرَّسمي في الدُّول العربية أصبح يؤذن بخطورة مستقبل فلسطين والمنطقة عمومًا، خصوصًا في ظلِّ تحوُّل إسرائيل إلى جزءٍ مِن منظومة الشَّرق الأوسط ، لها مكانة رفيعة فيه، نظرًا لما تملكه مِن إمكانات اقتصادية وعسكرية تكنولوجية وتأييد غربي.

لذلك، كان لا بدَّ مِن عمل بطولي يعيق هذا المسار التَّآمري الخبيث، ويعيد القضية إلى إطارها الصَّحيح الذي يكون لأهل الحقِّ كلمتهم الأولى فيه.

ولم يكن مستغربًا على حركة المقاومة الإسلامية (حماس) أن تقوم بذلك وهي التي أخذت على عاتقها الإعداد العسكري والقتالي لتمثِّل الرافعة العسكرية للمقاومة في فلسطين عمومًا، ونجحت في العديد مِن محطَّات النِّضال وتجاوزت كافَّة التَّحدِّيات التي واجهتها، وتصدَّرت للأمر بعملية كبيرة أوجعت العدو الصُّهيوني وألحقت بالهالة التي أحيط بها هزيمة كبرى، فقد عملت على بناء قدرات وإمكانات مواجهة مذهلة ومتطوِّرة وملائمة لطبيعة المعركة التي تخوضها مع العدو الإسرائيلي.

إنَّ الإدراك والأداء السِّياسي للحركة، ووعيها بطبيعة المسارات التي مضت فيها القضية الفلسطينية، وقدراتها الاستخباراتية التي بنتها خلال سنوات في عمق الأراضي الفلسطينية؛ كان كفيلًا بأن تكون حماس هي القوَّة الضَّاربة لمشروع التَّطبيع والقضاء على فلسطين شعبًا ووطنًا وهوية ومقدَّسات، وقد كانت عملية طوفان الأقصى التي أطلقتها الحركة في ٧ أكتوبر الماضي (٢٠٢٣م) على قدر عالٍ مِن التَّخطيط والإدارة والتَّنظيم والتَّنفيذ والابتكار، بحيث أنَّها أتت بنتائج كبيرة خلال ساعات قليلة، على مستوى الظَّرف والإمكانات المتاحة.

تداعيات عملية طوفان الأقصى:

إنَّ الضَّربة الموجعة التي تلقَّاها الكيان الإسرائيلي في ظلِّ الخلافات؛ بدأت تعصف به داخليًّا، وأسقطت الهالة التي كانت تحيط به، وأضرَّت بحالة اليقين والموثوقية التي تمتَّع بها المستوطنون الصَّهاينة تجاه ضمان دولتهم لأمنهم وسلامتهم، وباتت مؤشِّرًا على صلابة القوى الإسلامية وقدرتها على فرض معادلة توازن الرُّعب، وبهذا أرَّقت القيادات الصُّهيونية في إسرائيل، بل وفي الولايات المتَّحدة الأمريكية وبريطانيا الدَّاعمتين لإسرائيل، وهو ماجعلهم ينتفضون عن بكرة أبيهم لحسم الموقف تجاه حماس والقضاء عليها، مهما كلَّف الأمر مِن ضحايا وخسائر، وقد عبَّرت عن ذلك تصريحاتهم وخطاباتهم وبياناتهم التي صدرت في الأيَّام الأولى، وأعطت إسرائيل ضوءًا أخضر للقيام بعمليَّات عسكرية بربرية متوحِّشة تجاه قطاع غزة بدعوى تأديب المقاومة واستعادة هيبة الكيان الصُّهيوني وحلفائه في المنطقة.

وبالفعل، خططت القيادة الإسرائيلية لاجتياح عسكري لقطاع غزة، ولكن بعد عمليَّات قصف جوي استهدفت المنازل والشَّوارع والمدارس والمستشفيات ودور العبادة وأماكن الإيواء والمخابز وغيرها؛ سعى العدو في إرغام الفلسطينيين للخروج مِن القطاع، وتهجيرهم باتِّجاه مصر، لإنهاء الوجود الفلسطيني بغزة عقب القضاء تمامًا على مقاتلي المقاومة الفلسطينية فيها.

أبرز العدوان الإسرائيلي على غزَّة مدى الإجرام والطُّغيان والعدوان الذي يمارسه الكيان الصُّهيوني على مرأى ومسمع الدُّول الغربية المتشدِّقة بشعارات حقوق الإنسان والسَّلام العالمي والتَّعايش الإنساني! بل بدا واضحًا أنَّ الموقف الدُّبلوماسي والعسكري والاقتصادي انحاز إلى جانب إسرائيل مِن خلال إرسال دولة كالولايات المتَّحدة الأمريكية وزير

خارجيَّتها إلى المنطقة للحديث مع الأنظمة العربية بلسان عربي مبين، وإرسال شحنات مِن السِّلاح المتطوِّر والذَّخيرة والخبرات والجنود إلى إسرائيل، وتقديم دعم مالي لها. وخلال هذا العدوان، في ظل تجاوز الضَّحايا أعداد مهولة ، تجاوت في الأربعين يوما الأولى عشرة ألاف شهيد من غزة .

هذه بعض التَّداعيات المؤلمة لمعركة (طوفان الأقصى)، ولكن هناك ظواهر أخرى كشف عنها الطوفان، لا ينبغي الالتفات عنها، ومِنها:

١-كسر هيبة الكيان الصُّهيوني وتحطيم صورته النَّمطية بكونه دولة قوية وذات بأس، كما سبق وأسلفنا. وهذا بحدِّ ذاته كفيل بإعطاء الأمل للفلسطينيين مهما بلغت آلامهم أملًا في التَّغلُّب عليه يومًا ما.

٢-إعادة ثقة الشَّعب الفلسطيني في مقاومته المسلَّحة، وقدراتها العسكرية والقتالية بما يجعلها قادرة على إلحاق الأذى بالعدو الإسرائيلي وإيلامه في عقر داره.

٣-بث القلق والتَّوتُّر في المستوطنين الصَّهاينة في فلسطين بشأن مستقبل وجودهم في ظلِّ دولة هشَّة وعاجزة عن استباق ضربة عسكرية واختراق أمني بهذا المستوى. وهو ما بدأت تعكسه حركة الهجرة إلى خارج إسرائيل منذ الأيَّام الأولى التي أعقبت عملية طوفان الأقصى.

٤-إدخال كيان الدَّولة الإسرائيلية في حالة هستيريا وخلاف بيني بين أجنحة النُّخب السِّياسية والمسئولين الصَّهاينة في ظلِّ الفشل والعجز الذي بدى ظاهرًا أمام عملية طوفان الأقصى، حيث بدأت القيادات السِّياسية والأمنية والعسكرية تتقاذف الاتِّهامات المتبادلة بشأن التَّقصير والفشل الذي حدث.

٥-هجرة الأموال إلى خارج إسرائيل في ظلِّ مخاوف مِن اشتعال المنطقة برمَّتها، واتِّساع دائرة المواجهات على صعيد المنطقة، وهو أمر حذَّرت مِنه دول ونخب عدَّة، بل جاءت القوَّات الأمريكية بحجم كبير لضمان عدم حدوثه!

٦-توقُّف الكثير مِن الأعمال والمداخيل في ظلِّ ظروف الحرب وهجرة عدد غير قليل مِن الإسرائيليين إلى خارج فلسطين، وهي أمور تؤثِّر في الدَّخل القومي وأسعار السِّلع وحركة التِّجارة على المدى القريب والمتوسِّط، وكلَّما استمرَّت الحرب تضاعف الأثر.

٧-إيقاف قطار التَّطبيع الذي شمل دولا عربية وخليجية قبل سنوات قليلة مِن الآن، حيث بات مِن الصَّعب المضي قدمًا في المضي في تطبيع العلاقة مع إسرائيل في ظلِّ عدوانها وإجرامها تجاه الفلسطينيين، ما يعني تأكيد التواطؤ الرسمي مع تلك الجرائم! ويزداد التأكيد، في ظلِّ قيام بعض الدُّول غير العربية بقطع علاقاتها الدُّبلوماسية مع إسرائيل والدَّعوة إلى محاسبة المسئولين الإسرائيليين باعتبارهم مجرمي حرب.

٨-عودة القضية الفلسطينية إلى اهتمامات الشُّعوب العربية التي أشغلتها الصِّراعات الدَّاخلية التي نشأت نتيجة الثَّورات المضادَّة التي أقحمت المنطقة في حروب عبثية داخلية تستنزف النُّفوس والقدرات والإمكانات والثَّروات وتهدرها.

٩-امتلاك حماس لأوراق مساومة جديدة.. تجعلها قادرة على التَّفاوض بموجبها، وهي

وإن كانت أوراقًا مكلفة لكن لا يوجد شيء بالمجَّان في موازين الصِّراع العسكري والسِّياسي مع المحتلِّين.

أمَّا التَّداعيات الإقليمية والدُّولية فإنَّ مِن المتوقَّع رغم رغبة الولايات المتَّحدة وبريطانيا في قصر الصِّراع على الجغرافيا الفلسطينية بين الصَّهاينة المحتلِّين والمقاومة الإسلامية في غزَّة إلَّا أنَّ الوضع قابل للانفجار، خصوصًا في ظلِّ حرب الإبادة الشَّاملة التي تنتهجها إسرائيل على مرأى ومسمع مِن الشُّعوب العربية والإسلامية، ما يعني احتمال تشكل ردود أفعال عربية وإسلامية باتجاه معركة فاصلة ضدَّ الكيان الصُّهيوني وإن في حدود، تربك المشهد الإقليمي في المنطقة وتقود إلى كسر الجمود الحاصل فيه. فالأردن ومصر ولبنان وسوريا في حالة هشَّة وقابلة للانفجار في حال سارت الأمور إلى مزيد مِن الإجرام والبطش بالفلسطينيين، وهو ما جعل الولايات المتَّحدة ترسل أساطيلها وتدفع بجنودها إلى المنطقة.

السيناريوهات المتوقَّعة:

في ظلِّ الصِّراع العسكري غير المتكافئ القائم بين الكيان الصُّهيوني مدعومًا ومسنودًا مِن قبل الولايات المتَّحدة الأمريكية وبين المقاومة الإسلامية الفلسطينية في غزَّة، وفي ضوء تباين أعداد الجنود والعتاد ومستوى التُّسلُّح والجغرافيا ما بين مفتوحة ومحاصرة، تترجَّح كفَّة العدو الصُّهيوني. فإنَّه في المنظور المادِّي الذي تحدَّث عنه القرآن الكريم ولم يغفله، في سورة النساء (١٠٢)، والأنفال الآية (٦٠)، والآيتين (٦٥- ٦٦)، والأنبياء (٨٠)، تنبيه وإرشاد إلى هذا البعد باعتباره الجانب السُّنني الذي لا ينبغي إغفاله، وقد عرضه القرآن على سبيل التَّكليف والمقابلة.

وفي حين تجد إسرائيل دعمًا ماليًّا، ولوجستيًا، وعسكريًّا بمزيد مِن السِّلاح والذَّخيرة والآليَّات والمعدَّات، تقتصر إمكانات حماس على الأسلحة الفردية، والصَّواريخ المطوَّرة، والمقذوفات المتفجِّرة، والألغام، والطَّائرات المسيَّرة (وإن بشكل محدود جدًّا)، مع انقطاع لإمداد الماء والغذاء والكهرباء والوقود عن القطاع، وفرض حصار جويٍّ وبحري وبرِّي عليه.

تتفوَّق حماس وفصائل المقاومة بعدالة القضيَّة، وروح التَّضحية والفداء، والتَّكتيكات القتالية التي تعتمد على الأنفاق وقتال الشَّوارع والأحياء وزراعة الألغام، ما يجعل مقاتليها أشبه بأشباح لا يمكن مواجهتهم بجيش

نظامي. لكنَّها وللأسف الشَّديد تفتقد لأيِّ إسناد عسكري، على صعيد الأسلحة والمعدَّات والذَّخيرة والآليَّات والدَّعم اللُّوجستي. إذ لا يوجد أيُّ دولة عربية قريبة أو بعيدة مساندة لها. وهذا يعني أنَّه مع طول مدَّة الصِّراع سوف يكون هناك استنزاف لقوَّة حماس النَّارية وقواها البشرية، وهو ما يراهن عليه الصَّهاينة والولايات المتَّحدة التي جاءت إلى المنطقة بأساطيلها لفرض رقابة صارمة على الحدود والممرَّات والمياه الإقليمية.

هناك ثلاثة عوامل يمكن أن تؤثِّر على تغيير هذه المعادلة:

١-توسيع دائرة الاشتباك المسلَّح على مستوى فلسطين كاملًا، سواء في فلسطين الدَّاخل (٤٨)، أو الضِّفة الغربية، بحيث تصبح إسرائيل في حالة حرب داخلية مفتوحة غير مسيطر عليها.

٢-حدوث تغيُّر مفاجئ على مستوى الأنظمة المحيطة بإسرائيل تتمكَّن معه شعوب المنطقة مِن كسر الحصار وإمداد الفلسطينيين بالسَّلاح والتَّمويل والاشتباك مع إسرائيل في جبهات أخرى لإشغالها في حرب استنزاف. وهو احتمال ضعيف، لكنَّه وارد.

٣-توسيع دائرة الاشتباك بتدخُّل دول إسلامية في الصِّراع لصالح نصرة المقاومة الفلسطينية وفلسطين، وهو احتمال بعيد جدًّا.

ويبقى أنَّ النَّصر قد تحقَّق للفلسطينيين بثباتهم وصبرهم ومقاومتهم، ودفاعهم عن أرضهم ومقدَّسات المسلمين، بما أمكنهم مِن سلاح وقوَّة وطاقة؛ وإنَّ تدخُّل الإرادة الإلهية وآية معجزة كرامة لأوليائه بعد أن دخلوا على العدو الباب إعذارًا أمام الله، أمر وارد في معهود الحكمة والقدرة الإلهية مع القلة المؤمنة عبر التَّاريخ.

***

أ. عامر عبد المنعم

طوفان الأقصى
وتصدع الحلم الصهيوني

المقاومة الفلسطينية أسقطت مشروعات تنصيب إسرائيل زعيمة للمنطقة..

قطعت الطريق على التطبيع الرسمي ووجهت ضربة قاضية لاتفاقات الخيانة..

الصمود الفلسطيني أفشل العدوان الصهيوني المدعوم من الغرب الصليبي.

كان طوفان الأقصى زلزالا، أحدث خلخلة عنيفة في العالم، وليس فقط في الكيان الصهيوني، فقد هاجمت كتائب القسام يوم السابع من أكتوبر غلاف غزة وسحقت الجيش الإسرائيلي في ٣ ساعات، وسيطرت على القواعد العسكرية واستولت على ما بها من حواسيب وبنوك معلومات، وأحرقت الدبابات والمدرعات، وأسرت العشرات من الضباط والجنود وعادت بهم إلى القطاع.

في هذا الوقت القصير انهار جيش الاحتلال الصهيوني، ولم تنفعهم التجهيزات التقنية والذكاء الاصطناعي والأسوار الإلكترونية والكاميرات التي ترصد كل حركة، ولم تنقذهم أقمار التجسس التي يمتلكها الإسرائيليون والأقمار الأمريكية المسخرة لخدمتهم، ولو أرادت المقاومة الوصول إلى القدس وتل أبيب لكان لهم ذلك بكل سهولة ويسر.

كشفت العملية العسكرية المتقنة قوة وبأس المقاتل الفلسطيني بسلاحه البسيط، في مواجهة جبن وضعف الجندي الإسرائيلي المدجج بالأسلحة، وأكدت لقطات الفيديو التي تم بثها عن العملية الهزيمة الساحقة للجيش الصهيوني الذي كان يتطاول ويظهر الغرور والزهو والغطرسة الكاذبة؛ فجنود القسام كانوا يمسكون الجنود الصهاينة بالأيدي وكأنهم فئران مذعورة.

تسبب الانتصار الفلسطيني في صدمة داخل الكيان الصهيوني أفقدتهم تماسكهم وتوازنهم، فظلوا بضعة أيام في حالة تخبط، لا يفهمون ما جرى، فالجيش المسئول عن غزة اختفى، ولا يوجد من يبلغهم بحقيقة الموقف على الأرض، وتم نسف الكاميرات المنصوبة على السياج الفاصل فتوقف التصوير، فطارت المروحيات الإسرائيلية وهي عمياء تقصف المستوطنين الذين فروا إلى الشوارع خائفين وقتلت الكثير منهم، وفي مقدمتهم المشاركون في الحفل الموسيقي الذي استخدموه في الدعاية ضد حماس.

التداعي الغربي لدعم الكيان الصهيوني

لم تتحمل الولايات المتحدة ومعظم الدول الأوربية النتائج الكارثية لانتصار حماس على الجيش الإسرائيلي، فهو يطرح من جديد فكرة نهاية «إسرائيل»، ويزعزع كل الترتيبات التي فعلوها منذ أكثر من ٧٥ عاما لزرع الكيان كدولة حاجزة في قلب الأمة، تقطع التواصل البري للعالم الإسلامي الممتد من أندونيسيا إلى المغرب، وتفصل الجناح الآسيوي الشرقي عن الجناح الأفريقي الغربي، ولتكون رأس حربة للغرب الصليبي في مواجهة المسلمين.

لقد دفعهم الخوف على مستقبل «إسرائيل» إلى المسارعة بإرسال الدعم العسكري اللامحدود لإنقاذ الكيان من الانهيار، فتحركت حاملت الطائرات والغواصات والمدمرات إلى شرق البحر المتوسط وإلى البحر الأحمر، وشحنوا على وجه السرعة آلاف الصواريخ والقنابل والقذائف، وتدفق قادة الغرب والدبلوماسيون على المنطقة للتهديد والوعيد، وضمان عدم تقديم أي دعم لحماس وتهيئة المناخ الدولي والإقليمي للهجوم الإسرائيلي والعدوان على غزة.

ركز التحرك الأمريكي على شيطنة حماس وتوصيفها كجماعة إرهابية وليست حركة تحرر، وذلك لتبرير العدوان الوحشي على غزة، وحشد الدعم الدولي للعملية العسكرية التي

يشارك الجيش الأمريكي في إداراتها وتوجيهها، والتصدي لمحاولات وقف الحرب بمزاعم «حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها» وكانت الأهداف المعلنة للعملية العسكرية الأمريكية الإسرائيلية كالتالي:

أولا: القضاء على حماس ومنعها من حكم غزة، وضمان عدم تكرار هجوم ٧ أكتوبر مرة أخرى.

ثانيا: تطمين الإسرائيليين الذين أصيبوا بالصدمة وإعادة الثقة المفقودة في جيشهم ودولتهم.

ثالثا: استعادة قوة الردع الإسرائيلية التي اهتزت لتخويف الدول العربية المحيطة.

حرص الأمريكيون على أن تبقي حكومات الدول العربية الرئيسية على صداقتها مع إسرائيل وألا تستجيب للضغوط الشعبية وترفض الهجوم الإسرائيلي، فانتزعت منهم إدانة لهجوم حماس على غلاف غزة، وانتزعت منهم الموافقة على العملية العسكرية من باب الدفاع عن النفس، وحصلت على تأييدهم بشكل غير معلن على القضاء على حماس!

الخذلان العربي

في الوقت الذي تتكتل فيه الدول الغربية لمساندة الإسرائيليين، والتحرك بشكل جماعي على المستوى الدولي لاستمرار العدوان، كان الأداء العربي مخزي ومتواطيء مع الصهاينة، فمنذ السابع من أكتوبر غاب رؤساء وملوك العرب عن المشهد، فلم يظهر واحد منهم يدين العدوان الإسرائيلي على غزة، ولم يطالب واحد منهم بالوقف الفوري للحرب، ولم يخرج واحد منهم ينفي ما يقوله الصهاينة والسياسيون الأمريكيون والأوربيون عن موافقتهم في الغرف المغلقة على الهجوم على الفلسطينيين للتخلص من حركة حماس.

أوكل قادة الدول العربية مهمة التحرك الخجول إلى وزراء الخارجية، منذ القمة العربية والإسلامية التي تأخرت شهرا بعد بدء الحرب، والذين لم ينفذوا أيا من قرارات القمة التي كانت مجرد حبر على ورق، واكتفوا بجولات في بعض العواصم يقولون في العلن ما يقول قادتهم عكسه في السر، وبعضهم لا يتردد في إدانة حماس!

ولامتصاص الغضب الشعبي بدأ بعض قادة العرب يتحدث بطرق ملتوية وعلى استحياء عن ضرورة السماح بدخول قوافل الإغاثة، ولا حديث عن وقف العدوان، ويعبرون عن حزنهم وأسفهم لقتل المدنيين وكأن القضية إنسانية فقط وليست حرب إبادة لشعب عربي مسلم، ولا تختلف مواقفهم كثيرا عن موقف الرئيس الأمريكي بايدن، الذي يظهر أيضا أسفه على قتل المدنيين، ويطالب الاحتلال بتقليل عدد الضحايا، في الوقت الذي يرسل لـ «إسرائيل» القنابل لقتل الفلسطينيين!

أداء عربي سلبي في الأمم المتحدة ومجلس الأمن

اقتصرت مطالب الحكومات العربية في البداية على هدن إنسانية ودخول المساعدات، ولم يتجرأ قادة العرب على المطالبة بوقف إطلاق النار إلا بعد رؤية دول غير مسلمة يسبقونهم ويتقدمون عليهم في الدفاع عن غزة، وقيام جنوب أفريقيا ودول أمريكا اللاتينية بسحب سفرائهم ووقف علاقاتهم مع الكيان الصهيوني، وبعد الإحراج من الحماس الذي ظهر في

مطالبة روسيا والصين بوقف الحرب.

وعندما ذهبت الدول العربية إلى مجلس الأمن والأمم المتحدة ربطوا اقتراح وقف الحرب بالمطلب الإسرائيلي بـ «الإفراج الفوري عن الرهائن الإسرائيليين بدون قيد أو شرط»، دون الإشارة إلى آلاف السجناء الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية وتجاهلوا الحصار والتدمير والقتل الذي يجري!

فإذا سلمت حماس ما لديها من الأسرى العسكريين بدون قيد أوشرط كما يطلب ممثلو العرب في الأمم المتحدة ومجلس الأمن فبماذا تتفاوض حماس لتبييض السجون والإفراج عن أكثر من ٦ آلاف أسير فلسطيني في سجون الاحتلال؟ ويضاف إليهم آلاف آخرون تم اعتقالهم منذ السابع من أكتوبر في الضفة وغزة، وما هي الأوراق التي بيد المقاومة للتفاوض حول وقف الحصار المفروض منذ ٢٠٠٧ وليطالبوا بالتعويضات وإعادة إعمار ما دمره الإسرائيليون؟!

يتهرب الرؤساء والملوك العرب من مناقشة ما يمكن عمله من إجراءات لوقف المجازر، بالحديث عن استئناف مفاوضات «حل الدولتين» الذي أصبح حلا وهميا ومستحيلا، وتحول إلى شماعة يخفي خلفها بعض العرب حالة الهزيمة والخذلان والهروب من تحمل المسئولية تجاه غزة.

لقد أصبح حل الدولتين هو المدخل لتبرير مشاركة قادة الدول العربية في تسويق الخطط الأمريكية والإسرائيلية، التي تهدف إلى نزع سلاح غزة، والمشاركة في الترتيبات الصهيونية لتأسيس إدارة عميلة لحكم غزة بعد حماس – كما يتوهمون- سواء برئاسة محمود عباس الذي يعجز عن تحقيق الأمن في الضفة المنزوعة السلاح، أو إسناد المهمة لعميل فلسطيني آخر مثل محمد دحلان المدعوم إماراتيا بحماية من قوات عربية!.

التداعيات على النظام العربي

رغم المعاناة وآلاف الشهداء وعشرات الآلاف من المصابين وحجم الدمار الذي تعرضت له غزة فإن الصورة من الناحية الأخرى مبشرة بمستقبل جديد كله انتصارات، فالمقاومة الفلسطينية بأسلحتها المصنعة محليا استطاعت أن تهزم جيش الاحتلال ومن ورائه من جيوش وحكومات غربية متفوقة عسكريا بالمقاييس المادية، وهذا النصر له نتائجه الكبرى على مستقبل الصراع.

أكد انتصار حماس أن (إسرائيل) كيان هش، نمر من ورق، ضعيف جدا، رغم ما يمتلكه المستوطنون من أسلحة وعتاد، وأنهم مع أول اختبار حقيقي فروا وهربوا، ويؤكد هذا الانتصار إمكانية تحرير كل فلسطين بالتخطيط والإعداد الجيد، وهذا هو الذي فهمه الصهاينة والصليبيون الغربيون فأقبلوا بقضهم وقضيضهم لتغيير نتيجة الحرب إلى انتصار إسرائيلي لكنهم فشلوا واصطدموا بالصمود الفلسطيني الذي أكد المؤكد وهو الانتصار الفلسطيني.

لقد أحيت عملية طوفان الأقصى الشعوب بعد فترة من الموات والشعور بالانكسار، وساهمت في استعادة المسلمين لروح العزة، وأعادت الشعور بالفخر بأن الأمة مازالت بخير وقادرة على تحقيق النصر، وزادت المعركة من مستوى الوعي بالخطر الذي يؤدي إلى مزيد

من التماسك والتضامن والحشد خلف القضية الفسلطينية ومساندة الطليعة التي تقاتل، وهذا تطور استراتيجي كبير له ما بعده، يأتي بعد حقبة من التيه والهزيمة بسبب الاستبداد والانقلاب على الثوابت والهرولة للتطبيع الرسمي الجماعي.

قضت عملية طوفان الأقصى بالضربة القاضية على الطموحات الصهيونية في بناء نظام إقليمي تقوده «إسرائيل»، شاركت فيه الدول العربية المؤثرة مثل «تحالف أبراهام» الذي انضمت إليه الأردن والإمارات ومصر والبحرين والمغرب، وتفاهمات أخرى بعضها علني وأكثرها سري لفرض الهيمنة الصهيونية وتنصيب «إسرائيل زعيمة للمنطقة.

أفشلت طوفان الأقصى مشروع «الممر الاقتصادي» الذي رعته أمريكا وأوربا في قمة العشرين الأخيرة، بتشييد طريق يربط بين الهند وأوربا بخط بحري من الهند وحتى دبي، وخط بري من دبي مرورا بالمملكة السعودية ثم الأردن وينتهي في إسرائيل على شاطيء البحر المتوسط، يضم خطا للسكة الحديد وأنابيب للنفط والغاز وكابلات الإنترنت، بدلا من قناة السويس.

أكد إنجاز حماس عدم صواب الاستراتيجية الصهيونية التي تبناها بعض الحكام العرب بجعل التيارات الإسلامية هي العدو الاستراتيجي وليس الاحتلال الصهيوني؛ إذ أثبتت حرب غزة كذب ادعاءات السلام مع الإسرائيليين، والعودة إلى نقطة البداية وهي أن الإسلاميين هم طليعة الأمة التي تقاوم الاحتلال، وأن قادة المقاومة الفلسطينية هم الرموز التي تحظى بتأييد الشعوب، وخاصة الأجيال الجديدة التي نضجت على وقع القصف والإبادة، وستفرض الشعوب كلمتها وتحاصر السياسات الرسمية الخيانية التي مصيرها الهزيمة مع هزيمة الاحتلال.

بعد انتصار غزة لن يستطيع زعيم عربي المجاهرة بالتطبيع وإلا ستأكله الشعوب بأسنانها، وسنشهد تحولات كبرى بعد تهاوي صورة الاحتلال وخساراته العسكرية والأخلاقية، وبعد أن كان بعض القادة يركعون للمحتل الإسرائيلي طمعا في الدعم الخارجي للبقاء على الكراسي سيكون التنصل من هذه العلاقات هو الطريق للنجاة، ولن يكون أمامهم إلا الفكاك من العار الذي سيلاحق المتعاونين مع الإسرائيليين.

التداعيات على النظام الدولي

لم يؤد انتصار حماس إلى تصدع الصهيونية في فلسطين فقط، بل أدى إلى فضحها وإسقاطها في عيون شعوب العالم، فعقود من الدعاية الإيجابية للدولة اليهودية واستعطاف العالم بما تعرض له اليهود في عهد النازية انهارت بالكامل بعد العدوان على غزة، وتسببت صور الإبادة وقتل الأطفال والنساء والمدنيين بكل أنواع الأسلحة الفتاكة في تصاعد موجات غير مسبوقة من الغضب العالمي.

لقد كسبت القضية الفلسطينية أنصارا وناشطين يدافعون عنها في كل مكان، وتحولت غزة إلى قضية الإنسانية ضد البربرية، ولم يستطع قادة الغرب من السياسيين وأباطرة الإعلام تحسين صورة الإسرائيليين أو الدفاع عن مشروعية قتل الفلسطينيين، وتطاردهم شعوبهم في بلادهم؛ فكلما ظهر واحد من هؤلاء القادة

المؤيدين للعدوان في الأماكن العامة والمطاعم والمنتجعات يتجمع الجمهور حوله ويهتفون ضده ويطالبونه بوقف إطلاق النار.

وهذا الغضب العالمي يفيد المسلمين في المجتمعات الغربية ويضيف الكثير إلى قوتهم وتأثيرهم، ويدعم قضاياهم في مواجهة المتطرفين الذين يعادون الإسلام، وهذا التعاطف على مستوى الشعوب والنخب يشكل عاملا ضاغطا على صناع القرار في الولايات المتحدة وأوربا ويضيق عليهم الخيارات في مواقفهم، وقد رأينا ترجمة لهذا الغضب في بريطنيا حيث أجبرت الاحتجاجات وزيرة الداخلية المنحازة لـ «إسرائيل» على الاستقالة.

تسببت طوفان الأقصى في مزيد من التصدع الذي أصاب النظام الدولي، حيث عجزت دول العالم عن تمرير قرار وقف الحرب في مجلس الأمن بسبب الفيتو الأمريكي، لكن مع طول فترة الحرب بدأ التفكك يخلخل الجبهة المؤيدة للكيان الصهيوني حتى بقيت الولايات المتحدة وإسرائيل وحدهما في النهاية، بعد ابتعاد الدول الأوربية عنهما بنسب متفاوتة حرصا على مصالحها.

من أهم المكاسب من طوفان الأقصى هزيمة الدعاية الصهيونية التي ركزت على شيطنة الإسلام وحشد دول العالم ضد ما يسمى «الإرهاب الإسلامي»، إذ ثبت أن الصهيونية هي الخطر الذي يهدد البشرية بجرائم الإبادة، وأن الصهاينة هم الذين يرتكبون الإرهاب الدولي، وأكدت غزة أن الإسلاميين يقاومون لتحرير بلادهم ضد احتلال غاشم مدعوم من دول كانت تدعي أنه تنشر التحضر.

وأظهرت المقاومة الفلسطينية صورا إيجابية في تعاملها مع الأسرى، وأثبتت انها أكثر تحضرا، وأنها أكثر سموا من خصومها الذين ظهر خبثهم وإجرامهم في التعامل مع الفلسطينيين وسقوطهم في معركة القيم والأخلاق، وهذا سيجني المسلمون ثمرته في حصار الدعاية التي تشيطن الإسلام والمسلمين.

***

عملية طوفان الأقصى المباركة جاءت في اللحظة التي ظن فيها «الإسرائيليون» أن الأمة قد استسلمت وأن كل الظروف مهيئة لهدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل المزعوم، فانقلب السحر على الساحر، وسقطت الأساطير وتحطمت الأصنام، وخرج لمواجهتم جيل من أبناء الأمة لا يضرهم من خذلهم، قلوبهم أشد من الفولاذ، يلقنون المعتدين الدروس ويكتبون التاريخ من جديد.

الأمة اليوم تعيش الانتصار الذي حرمت منه منذ عقود، وتستعيد عافيتها بعد فترة من التفكك والضعف، وهذا الانتصار الفلسطيني يشحذ الهمم لمزيد من الانتصارات في كل الساحات، فبعد غزة لن يقبل المسلمون البقاء في سجن التبعية للهيمنة الغربية، وإن لم يصحح الحكام مواقفهم ومسايرة موجات التحرر واستعادة الذات فستشق الشعوب طريقها ولن يضرها من خذل ومن خان.

***

هل هناك دول سنية حتى تدعم القضية الفلسطينية؟!

ممدوح إسماعيل

المخططات لتفتيت المنطقة العربية لا تتوقف، وقد بدأت في اتفاقية « سايكس بيكو » ١٩١٦ م فقطعت أوصال (الخلافة العثمانية) التى كانت آخر غطاء يجمع الشعوب الإسلامية على الإسلام ، ومن بعدها انطلق المحتل الصليبي الإنجليزي والفرنسي بعد إلغاء الخلافة ليمزق الأمة تحت شعار الوطنية، ويغرس فى نظم حكمها العلمانية التي تنحي الإسلام عن الحكم، فظهرت نظم الحكم المتسترة بالوطنية وفي قلبها علمانية صليبية.

وهو ما زاد من تمزق المنطقة وضاعف البلاء مع زرع الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين ، مدعومًا بكل أنواع القوة العسكرية والمالية والسياسية من الدول الصليبية الكبرى ، وتقلبت الأحوال بالنظم العربية حتى انغمست فى التطبيع مع الاحتلال .

لكن حركة المقاومة الإسلامية حماس ظهرت فى أواخر الثمانينيات ، وقامت بدور قوي في الدفاع عن الأقصى ومقاومة ذلك الاحتلال وحتى الآن ؛ ذلك لأنها حركة سنية محمودة الأهداف والعمل ، غير أن إيران الشيعية حاولت الظهور في المشهد بدور المقاوم الأصيل والداعم الوحيد للمقاومة الفلسطينية ، رغم أن تاريخ الشيعة القديم والحديث يشهد بخيانتهم، وخاصة للقدس التى سلمها الزعيم الشيعي (الأفضل بن بدر الجمالي) للصليبين بعد تعاونه معهم للقضاء على السلاجقة الأتراك السنة فى الشام.

لكنا نلاحظ أنه كلما يوجه نقد لإيران لفضح دورها والتحذير من خططها التوسعية الطائفية الصفوية فى المنطقة؛ ينطلق طابور للدفاع والمنافحة عنهم ـ ومنهم للأسف نفر من رموز المقاومة ـ فيبررون رافعين أصواتهم قائلين بأن الأنظمة السنية بل كل الأمة خذلت المقاومة فمرحبًا بدور إيران ! وهو تبرير أوهى من خيوط العنكبوت حيث إن الأمة الإسلامية بشعوبها ـ رغم قمع النظم الحاكمة ـ ما زالت تدعم المقاومة بقدر ما تستطيع.

أما عن خذلان النظم العربية فهو حق ؛ لكونها ليست أنظمة سنية أصلاً، فهذا الوصف لا وجود له فيها والحقيقة تقول إنه لا يوجد ـ بالمعنى الدستوري والقانوني الحرفي والواقعي ـ دول وأنظمة قائمة على السنة، إنما توجد شعوب مسلمة سنية مقهورة تتعرض لتجريف فى أسس دينها، ومع ذلك ما زال قطاع كبير من الشعوب السنية يقاوم ويدعم المقاومة رغم الاضطهاد قدر استطاعته ، بالكلمة والمال والدعم المستطاع .

والواضح كضوء الشمس أن دساتير كل الدول العربية خلت من النص النظري والواقع العملي الذي يؤكد تفعيل مرجعية شريعة الإسلام والاعتماد على المذهب السني في الحكم ، لكن يوجد نص مهمش يشير إلى أن دين الدولة هو الإسلام ، ولكن لا وجود له فعليًا في إدارة الحكم.

ونصوص القانون ـ الذي تم استيراد معظمها من فرنسا ـ يتضح منها أن مرجعية الحكم ليست للإسلام باعتباره شريعة في الواقع العملي ؛ لذلك نجد موالاة الغرب طافحة وواضحة على منظومات الحكم .

ومن أمثلة ذلك :

:: في الدستور المصري:

(مادة/ ١) الدولة نظامها جمهوري ديمقراطي، يقوم على أساس المواطنة وسيادة القانون.

و(المادة /٢) تنص على أن دين الدولة الإسلام و(مبادئ) الشريعة هي المصدر الرئيس للتشريع ؛ وهذا لا واقع له ؛ لأن التطبيق العملي هو للقانون الوضعي ثم العرف، وما أدراك ما العرف الآن.

ثم تأتي الكلمة الفضفاضة عن (مبادئ) الشريعة الإسلامية؛ للتضليل وليس للعمل، والأهم أن المادة الأولى تخالف وتناقض المادة الثانية، فالأولى التي تنص على سيادة القانون هي التي تعظم فعليًا، والمادة الثانية لا تفعل عمليًا، وحتى القانون نفسه يحكم بطريقة انتقائية.

وقس على ذلك بقية النُظم العربية المحكومة بمنظومات علمانية.

:: أما إيران ـ فهي منذ ثورة الخوميني ـ دولة مرجعيتها وحكمها وواقعها وتطبيقها القانوني هو التشيّع المذهبي.

ومثال ذلك أن (المادة / ١٢) من الدستور الإيراني تنص على أن: (المذهب الجعفري الاثنى عشري يبقى إلى الأبد المذهب الرسمي لإيران، وغير قابل للتغيير).

و(المادة / ١١٥) تلزم الرئيس الإيراني بأن يكون مؤمنًا وعلى (المذهب الشيعي الجعفري).

أما (المادة/١٢١) فتلزم الرئيس الإيراني بأن يؤدي القسم التالي لكي يتولى مهام منصبه:

(أقسم بالله أن أكون حاميًا للمذهب الرسمي للبلاد) ؛ وهذه إشارة إلى أن المذهب الجعفري الاثنى عشري في إيران هو الحاكم المسيطر على حركة وعقل الحكم لا الإسلام بشموليته.

و (المادة / ١٤٤) إشارتها ونصها واضح الدلالة على مبدأ تصدير الثورة الايرانية، وهنا مربط الفرس، فكل تحرك وتفاعل للنظام الايراني جوهره هو تصدير ثورة التشيع .

:: أما كيان الاحتلال الإسرائيلي فأساسه اعتمد منذ وعد بلفور المشؤوم عام ١٩١٧م على تأسيس وطن قومي لليهود، وإن كان لا يوجد لهم دستور مكتوب؛ لأنهم اعتبروا أن التوراة هي المرجعية، وكتابة دستور يقلل من شأنها.

يقول (موشى ديان) أشهر وزير دفاع للاحتلال : (إذا كنا نملك التوراة، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة، فمن الواجب علينا أن نمتلك جميع الأراضي التوراتية).

وهم فى الكيان المحتل وضعوا ما يسمى القانون الأساس، وفيه نص على أن: (إسرائيل هي الدولة القومية للشعب اليهودي، وفيها يقوم بممارسة حقه الطبيعي والثقافي والديني والتاريخي لتقرير المصير).

وينص القانون على أن الهجرة التي تؤدي إلى المواطنة المباشرة هي لليهود فقط، وأن الدولة تبقى مفتوحة أمام قدوم اليهود .

وإذا قارنا مرجعية دولة اليهود والدولة الشيعية وواقعهما العملى فى الحكم مع مرجعية الدول العربية وواقعها فى الحكم؛ فسنجد بوضوح أن منطقة الشرق الأوسط والعالم العربي عامة لا توجد به دولة عقدية غير إيران وإسرائيل ؛ لذلك فهما تتنافسان على القوة وبسط السيطرة،

وما بينهما من عداوة ليست مطلقة بسبب طبيعة العلاقة القديمة المتجذرة بين اليهود والشيعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ في مجموع الفتاوى المجلد ٢٨ صفحة ٤٨٣ ـ : « وقد ذكر

أهل العلم أن مبدأ الرفض كان من الزنديق عبد الله بن سبأ، فإنه أظهر الإسلام وأبطن اليهودية، وقصده أن يفسد الإسلام كما فعل بولس النصراني ـ الذي كان يهوديًا ـ في إفساده دين النصارى) .

وفي واقعنا المعاصر يقول الكاتب (تريتا فارسي) في كتابه « التحالف الغادر) : (اليهود والإيرانيون ليسوا غرباء عن بعضهم ؛ فثقافة الطرفين وديانتاهما وتاريخهما فيهم تشابه بشكل وثيق منذ العصور البابلية).

وفي هذا العصر يتجلى تقديم الشيعة ولاءهم ونصرتهم للكافرين على المسلمين السنة ، ويشار هنا إلى الخبر الذي نقلته صحيفة « صنداي تلغراف اللندنية « بعد حرب العراق ، إذ جاء فيه : (إن إسرائيل استعانت بصور فوتوغرافية وخرائط إيرانية في ضربها للمنشآت النووية العراقية، في ذات الوقت كان السلاح الإسرائيلي والأمريكي يتدفق إلى إيران في حربها مع العراق).

وهنا لا بد من طرح تساؤل مهم للعقلاء : إذا كان بين إيران وإسرائيل صراع حقيقي؛ لماذا لم تقم إسرائيل بضرب المفاعل النووي الإيراني كما ضربت المفاعل النووي العراقي؟!

ومما يلفت النظر أنه بعد ثورة الخوميني؛ انكشف ما يسمى فضيحة (إيران جيت) ، ففي مقابلة مع جريدة (الهيرالد تربيون) الأمريكية في ٢٤ أغسطس ١٩٨١م اعترف الرئيس الإيراني السابق (أبو الحسن بني صدر) أنّه أحيط علمًا بوجود علاقة بين إيران وإسرائيل، وأنّه لم يكن يستطيع أن يواجه التيار الديني الذي كان متورطًا في التنسيق والتعاون بين إيران وإسرائيل .

وكان (مناحيم بيجن) رئيس وزراء إسرائيل الأسبق، قد اعترف في ٣ يونيو ١٩٨٢م بأنّ اسرائيل كانت تمد إيران بالسلاح، وعلل (شارون) وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق أسباب التعاون العسكري بين إيران وإسرائيل بأن من شأن ذلك إضعاف العراق.

يبقى الأهم لكل ذي عقل .. أنه في ذات الوقت الذي كانت علاقة إيران بإسرائيل قوية؛ فإن الخوميني أنشأ ما يسمى بجيش القدس ؛ لتضليل الأمة الإسلامية المحاصرة بالنظم القمعية المتغربة.

الشاهد: أنه لا يوجد نظام حكم قائم على المرجعية السنية، إنما هي نظم قمعية استبدادية متغربة ، تمنع حكم الشريعة بالقوة الباطشة ، مثلما حدث في الجزائر عندما قمع العسكر المتفرنس جبهة الإنقاذ الإسلامية، وأيضًا عندما وقع الانقلاب العسكرى على حكم الإخوان بعد سنة فقط من الحكم في مصر، وتم اعتقال وقتل المعارضين .

وعلى ذلك النحو تتنافس النظم العربية في قمع الحركات الإسلامية التى تسعى لتحقيق نظام حكم عقدي سني مرجعيته الشريعة الإسلامية، وتزيد على ذلك مواصلة السعي في تغريب المجتمعات ، والهرولة نحو التطبيع مع العدو الواضح الصريح.

أما إيران ـ وأذرعها الشيعية ـ فقد حرصت وحدها على الظهور بأنها تدعم حركات المقاومة الفلسطينية ؛ والهدف الحقيقي تقوية وتمدد مشروعها المذهبي الطائفي.

ولو وجدت دول سنية حقًا، ولها إرادة صادقة لدعم القضية الفلسطينية لتغير واقع المنطقة منذ زمن طويل ؛ وذلك يتضح مما نشرته صحيفة « كرستيان ساينس مونيتور » الأمريكية، في يوليو ٢٠١٤ م أن حركة حماس امتلكت ترسانة كبيرة من الأسلحة والعتاد العسكري في وقت تولي حكم الرئيس الأسبق « محمد مرسي »، وأن مصر اتخذت موقفًا أكثر تساهلًا بشأن العتاد والأسلحة التي كان يتم تهريبها عبر الأنفاق على الحدود بين مصر وغزة .

أما إيران ـ منافسة اليهود في حرب أهل السنة ـ فهي تلعب دورَ تاجر بازار سياسي، يتلاعب بما يملك من أوراق، وأخطرها ورقة دعم المقاومة الفلسطينية، ولو جُرِدت إيران من ورقة دعم المقاومة هذه لانكشفت وانفضحت وتعرت وتغيرت مكانتها تمامًا في المنطقة، ولو كانت صاحبة مشروع إسلامي صحيح يقوم بنصرة المستضعفين حقًا وصدقًا..

لكان وجودها في أول صف في الدفاع عن غزة في معركتها الباسلة ؛ قيامًا بالواجب الشرعي الإسلامي، ولكنها تهربت من المواجهة واكتفت بتحريك بعض أذرعها لإثبات الوجود، في تمثيليات محسوبة ومدروسة، وإلا فأين جيش القدس المُؤسَس منذ أكثر من أربعين عامًا ؟!!

إننا لم نجده إلا في التعاون مع الأمريكان على احتلال العراق وقتل وإذلال أهل السنة هناك ، وفي التعاون مع الروس في سوريا لقتل وتهجير أهل السنة وتوطين الشيعة مكانهم، وفي دعمه للحوثيين في اليمن بكل قوة لفرض المذهب الاثني عشري بين أهل السنة، وفي دعمه لـ« حزب اللات » في لبنان لنشر مذهبها الطائفي ووأد وجود أهل السنة أيضًا ، وقد ظهرت خيانة إيران قبل ذلك في أفغانستان عندما تواطأت مع العدوان الأمريكي لاحتلالها.

ومع أنه لا يوجد بالفعل نظام سني عقدي عربي بالمعنى الحقيقي، فإن هذا لا يخفي حقيقة أن أكبر ظهير شعبي للمقاومة هم أهل السنة من آسيا إلى إفريقيا إلى أوروبا ، وسيبقون هم الداعم الأساس للجهاد في فلسطين ؛ لأن القدس والأقصى قضيتا أهل السنة جميعًا، بل من أهم قضاياهم .

***

لبنان

الفردوس الملتهب على أعتاب الطوفان

أحمد محمود عمورة

لبنان دولة عربية مشرقية آسيوية متوسطية، هي مهد الأبجدية، وثغر الإسلام، ودُرة بلاد الشام، ومنبر العرب، وشُرفة آسيا على أوروبا وأفريقيا، وهي دولة صُغرى من حيث المساحة وعدد السكان، ولكنها ذات أهمية كُبرى من حيث الموقع الجيوستراتيجي والتنوّع النوعي ورأس المال الفِكري والريادة المُتعددة الأبعاد إقليميا وعالميا، وبالرغم من حداثة عمر لبنان كوحدة سياسية مستقلة ١٩٢٠ إلا أنها أول جمهورية عربية ١٩٤٣ وبالرغم من هذا العمر القصير جدًا في أعمار الدول إلا أنه كان مسرحا لعدد كبير من الصراعات الإقليمية والنزاعات الداخلية وصولا إلى الانهيار الدراماتيكي للسلطة بعد ثورة ٢٠١٩ ومحاولات تفادي الارتطام المدوّي المستمرة إلى الآن.

الأدوار: كان لبنان جزءا مركزيا من جدار «الشرعيات غير الإسلامية» الذي أراد أن يبنيه الغرب بينه وبين العرب شرق المتوسط (وعد بلفور الإنجليزي لليهود في فلسطين ١٩١٧ ولبنان الكبير الفرنسي للموارنة ١٩٢٠ ودولة «جبل العلويين» على الساحل السوري ١٩٢٠) وبعد استقلال

لبنان ١٩٤٣ والاحتلال الصهيوني لفلسطين ١٩٤٨ ازدهر الاقتصاد اللبناني وأصبح لبنان بالنسبة للكثير من العرب والأجانب «المصرف والمشفى والمدرسة والمصيف والملهى والمطعم» وكان ومازال مخيم الإقليم سواء مخيمات اللجوء (الأرمن والفلسطينيون والعراقيون والسوريون) أو مخيمات التدريب للمليشيات (الفلسطينية والكردية والأممية «الجيش الأحمر الياباني، و منظمة بادر ماينهوف الألمانية ..) حتى تم إحصاء أكثر من ألف حزب ومنظمة كانت تتخذ من لبنان مقرا أو ممرا أو معسكرا لها أثناء الحرب الأهلية. ومن الأدوار أيضا «وكر الجواسيس» فقد كان محطة متقدمة للتجسس على الجهات الناشطة فيه والجوار والانتشار. ومن الأدوار أيضا اعتبار لبنان بمثابة «رسالة» حضارية أو «تجربة اجتماعية» أو «مختبر تعايش» بين الطوائف والمذاهب والأحزاب والأفكار هذا الأمر الذي نجح أحيانا وأخفق كثيرا، ويتوقع للبنان في حال خروجه من المأزق الوجودي والمنعرج التاريخي الذي يمر به أن يستعيد مكانته على مستوى رأس المال الفكري وريادة الأعمال وعلى خارطة الطاقة العالمية، ومن رحم هذه التناقضات والمُدافعات ولد لبنان كبوتقة مُتّقدة ومُعقّدة ومُتقلّبة، وبوصلة دقيقة في نفس الوقت، ولهذا سيتم عرض المعطيات على شكل عناوين فرعية مستقلة.

الغزو الثقافي المبكر: تأسست الجامعة الأمريكية في بيروت سنة ١٨٦٦ وبعد تسع سنوات لحقت بها الجامعة اليسوعية (فرتسا) ١٨٧٥ ثم كان الانتداب الفرنسي على لبنان ١٩٢٠ – ١٩٤٣ ومكّنت فرنسا للمارونية السياسية من حكم لبنان ودار صراع فرنسي أمريكي إلى الآن، وأحد أبرز مظاهره المادية إنشاء الولايات المتحدة لأحد أكبر سفاراتها في بيروت .

الأهمية الاستثنائية: على غرار الاستثمار الأمريكي الكبير في لبنان، تدعم إيران «حزب الله» كأهم استثماراتها الخارجية وأذرعها الاستراتيجية في المنطقة والعالم، وبينهما كان للدعم السخي للمملكة العربية السعودية والخليج العربي والدول العربية والإسلامية والاتحاد الأوروبي الدور الأكبر عبر «اتفاق الطائف» وما بعده في إيقاف الحرب وإعادة الإعمار وعودة لبنان إلى الخارطة العالمية واستعادة دوره الريادي.

صراع الهويات والمشاريع: بقي صراع الهويات الدينية والمشاريع السياسية بين مشروع الدولة العربية حكومة فيصل ٣ أيام، والمشروع القومي السوري مع أنطون سعادة وسورية الكبرى، ومشروع الحماية الفرنسية الغربية، إلى أن انتصر مشروع التوافق على الاستقلال الوطني والذي تم الاعتراف به في ٢٢ ديسمبر ١٩٤٣ كان الاستقلال تسوية أعطت امتيازات مطلقة لأقلية مارونية على بقية الطوائف المسيحية والإسلامية.

الزلزال الصهيوني: في سنة ١٩٤٨ أدى تمكين المشروع الصهيوني في فلسطين، إلى لجوء البرجوازية والأنتلجانسيا والعمّال المهرة ورؤوس الأموال الفلسطينية إلى لبنان الأمر الذي أنعش لبنان اقتصاديا، وأدخل العامل الفلسطيني (السني) إلى المعادلة اللبنانية الهشة وخاصة بعد اندلاع الحرب الأهلية الأولى ١٩٥٨ ضد حكم كميل شمعون وعلى وقع المد الناصري وبسبب انضمام لبنان إلى المحور الإنجليزي

المضاد المسمى «حلف بغداد» والذي كان من مقولاته الجيوستراتيجية المأثورة «إذا كان العراق بخير، فلبنان بخير» وأدى ظهور حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة وعملياتها في الجنوب ودخولها لاحقا في الحرب الأهلية إلى تعقيد المشهد السياسي والطائفي اللبناني، كما أدى نجاح الثورة الخمينية في إيران ١٩٧٩ إلى تأسيس نشاط الحرس الثوري في لبنان والذي أكمل سيرة السيد موسى الصدر مؤسس الشيعية السياسية العربية في المشرق العربي والانتشار الشيعي.

- مساحة الملعب: كان لبنان ملعبا للقوى العظمى والإقليمية، ولكن مع دخول لاعبين جدد احتاجت المنطقة إلى ملاعب أكبر فكان العراق وسورية واليمن وليبيا والسودان، بل إن بعض اللاعبين الإقليميين في الملعب اللبناني أصبحوا ملاعب كما هو الحال بالنسبة لسورية والعراق وليبيا.

- خيمة الأمم: وكما كانت جبال لبنان ملاذا تاريخيا للملل والنحل منذ القِدم، فقد أصبح لبنان ملاذا حديثا للشعوب بدءا من هجرات الأرمن الكُبرى ١٩١٥ و ١٩٣٩ ثم اللجوء الفلسطيني بعد الاحتلال الصهيوني ١٩٤٨ واللجوء العراقي بعد الغزو الأمريكي ٢٠٠٣ ثم النزوح السوري بعد الثورة ٢٠١١، الأمر الذي أضاف قضايا هذه الشعوب ونضالها إلى تعقيدات وتوازنات الطوائف اللبنانية، وأصبح لبنان خليطا غير متجانس من طوائف وشعوب وقضايا الإقليم.

- الدول الشبيهة: يتشابه لبنان مع كل من الكويت والبحرين في الاعتبارات الآتية: صِغَر المساحة، الأزمة الطائفية (السنة × الشيعة)، أطماع وتجاذبات الدول الكبيرة المتصارعة والمتجاورة.

- وطأة الجغرافيا: يقع لبنان كدولة حاجز بين سورية وفلسطين المحتلة، يحد لبنان فلسطين المحتلة جنوبا والبحر الأبيض المتوسط غربا وسوريا من باقي الجهات، الأمر الذي عرضه لتجاذبات ما يسمى بالصراع العربي الإسرائيلي في جبهته الشمالية، وعرضه للغزو في عملية الليطاني ١٩٧٨ ثم الاحتلال وصولا للعاصمة بيروت سنة ١٩٨٢ ثم سلسلة انسحابات وصولا إلى التحرير شبه الكلي سنة ٢٠٠٠ وبعد ذلك حرب تموز ٢٠٠٦ وصولا إلى الجبهة المفتوحة مع العدو في اليوم التالي ل«طوفان الأقصى» دخلت على خط الصراع «قوات الفجر» الذراع العسكري للجماعة الإسلامية والذي انطلق إبّان اجتياح ١٩٨٢ وشارك في عمليات حرب تموز ٢٠٠٦ ثم كان دخول «كتائب القسام – لبنان» وإطلاق مشروع «طلائع الكوفان» للاستيعاب والإعداد والإمداد والإسناد، وبالتأكيد مشاركة «حزب الله» في حرب باردة قد تتدحرج إلى حرب إقليمية أوسع في أي وقت.

- الجغرافيا الطائفية: يتركز النصارى والدروز في المركز «جبل لبنان» وينتشر الشيعة في الأطراف سهل البقاع الشمالي بعلبك الهرمل وجنوب لبنان، ويتمركز السنة في «المدن الأقطاب» على الساحل اللبناني (العاصمة بيروت في الوسط والعاصمة الثانية

طرابلس في الشمال والعاصمة الثالثة صيدا جنوبا) هذه هي الحواضر الكبرى في لبنان والتي تؤسس «للمدينية السنية» مما يجعل المكون السني المكوّن المديني الأكبر بحكم تمركز غالبية السنة في هذه المدن الأقطاب ومراكز الحكم والعلم والمال، وهو أيضا المكوّن الدولتي بحكم التاريخ فهو يمثل السلطة من زمن الراشدين إلى العثمانيين حيث كانوا «مِلّة السلطان». والسنة في لبنان إما موظفون رسميون أو كبار التجار لذلك ارتبط وجود «السني القوي» في رئاسة الحكومة باستقرار لبنان (سياسيا واقتصاديا) وأدى غيابه إلى اضطراب البلد وخاصة بعد الطائف ، بالإضافة إلى هذا التمركز المديني على العواصم والمرافئ البحرية ينتشر السنة على المعابر البرية الاستراتيجية مع فلسطين المحتلة وسورية، ومع كتلة سنية نوعية وازنة في جبل لبنان هي «إقليم الخروب» تستأثر بحصة تاريخية كبيرة من الحصة السنية في الوظائف الرسمية العليا (القضاة والضباط والمدراء العامّون) تشكل التكنوقراط السني، ونسبة مرتفعة من التعليم العالي في المدن الكبرى ولافتة في بعض المدن الصغيرة كمدينة القلَمون تُرشحها لتكوين نواة الإنتلجنسيا السنية.

- الطائفية السياسية: ولد لبنان من رحم «الدين والسياسة» وتجلّى هذا في مواد الدستور وقوانين الانتخاب ووظائف الفئة الأولى وأعراف الحياة العامة وطغيان الهويات المناطقية الخاصة في الفضاء العام. وكانت «المارونية السياسية» أوسع أشكال الطائفية السياسية تأثيرا، فقبل اتفاق الطائف تمتع رئيس الجمهورية اللبنانية الماروني بصلاحيات شبه مُطلقة، وكان عدد النواب النصارى أكثر من المسلمين ، فضلا عن الامتيازات في الجيش والأمن والقضاء والإدارة والاقتصاد، ولكن بعد الحرب الأهلية (١٩٧٥ - ١٩٩٠) وفي ٥ نوفمبر ١٩٨٩ صدّق البرلمان اللبناني على اتفاق الطائف: الذي قامت فلسفته على الحد من صلاحيات الرئيس وتوزيعها على مجلس الوزراء مجتمعاً . وتضمّن مجموعة من التعديلات الدستورية وانتخاب رئيس جديد للجمهورية، وانسحاب القوات السورية من لبنان. كان الطائف هو الحل العربي الذي أعاد التوازن للنظام والانتظام العام للحياة العامة وأعاد توحيد السلطة والجيش والشعب، وأوقف الحرب وأطلق إعادة الإعمار وأعاد لبنان إلى دائرة الريادة الإقليمية والعالمية وخاصة في حكومات دولة الرئيس رفيق الحريري.

- عسكرة الطوائف: أفرزت «المارونية السياسية» «جيشا رسميا طائفيا ذو ولاء وميول مارونية، الأمر الذي أدى إلى انشقاق عدد من القيادات العسكرية الإسلامية، وتكوين مليشيات طائفية أثناء الحرب الأهلية ، ومن ثم تسميم «الجيش الوطني» بعد الطائف من خلال دمج المليشيات فيه . وبحكم الطبيعة المدينية للمكوّن السني فإنه لم يستطع إنتاج مليشيا كبيرة تتناسب مع حجمه وإمكانياته واكتفى بتشكيلات دفاعية في المدن «المجاهدون» و«حركة التوحيد» و«جند الله» في طرابلس، و«المُرابطون» في بيروت، و«قوات الفجر» و«الحركة الإسلامية المجاهدة» و«عصبة الأنصار» في صيدا، حيث ظهرت قوات الفجر

كأول مقاومة إسلامية مسلحة للاحتلال الصهيوني، هذه الفئة المؤمنة التي ظهرت قبل إطلاق حزب الله، وكانت بندقيتها دائما نحو المحتل ولم تتورط بالدخول في الحرب الأهلية ولا العمالة الخارجية.

- دورات التاريخ: يمر لبنان بدورات شبه منتظمة من ألأحداث الكبرى، الفترة الفاصلة هي ١٥ سنة تقريبا، وذلك على النحو التالي: ١٩٤٣ الاستقلال ١٩٥٨ ثورة شمعون أطاحت برئيس الجمهورية ١٩٧٥ الحرب الأهلية ١٩٨٩ اتفاق الطائف ٢٠٠٥ اغتيال رفيق الحريري ٢٠١٩ ثورة تشرين الأول وبداية الانهيار الكبير.

- الدولة الهشّة: أدّت الفتن الطائفية والامتيازات الأجنبية والمدّ القومي والاستعمار الفرنسي والثورة الفلسطينية والاحتلالات الصهيونية والوصاية السورية والهيمنة الإيرانية، والحروب الأهلية واستلام أمراء الحرب للحكم ودمج المليشيات في الجيش والأمن والإدارة فضلا عن المحاصصة الطائفية والزبائنية السياسية، والفساد الوقح واقتصاد الكازينو والمصارف الربوية وتبييض الأموال .. أدى كل هذا للإصابة ب»هشاشة النظام».

- الدولة المجوّفة: الانهيار الكبير للاقتصاد والعملة الوطنية والأمن الاجتماعي، والانسداد السياسي الهائل الذي أدى إلى اعتبار «الفراغ» هو «الحزب الحاكم» فمن الفراغ في سدة الرئاسة وحاكمية المصرف المركزي وقرابة نصف المواقع في الإدارة العامة من موظفي الفئة الأولى، إلى حكومة تصريف الأعمال وربما في قيادة الجيش، هذا على المستوى الرسمي، وأما على المستوى غير الرسمي فتظهر أزمة تغوّل حزب الله على الحياة السياسية تحت إكراهات وهج السلاح وعصا القضاء العسكري من جهة، وإغراءات الدولار وأخواته من جهة أخرى.

- السلطة المُهمّشة: أدى حجم الفساد الهائل، والتنازلات المُريبة لصالح المحور الإيراني وإجهاض ثورة تشرين ٢٠١٩ والانهيارات التي تبعتها، والهيمنة الإيرانية على لبنان الرسمي «رئاسة الجمهورية، والأغلبية النيابية مع رئاسة المجلس، والشراكة في الحكومة، والمواقف والأعمال المُعادية للنظام العربي برعاية الضاحية الجنوبية (دعم الحوثيين، وتجارة المخدرات، والفضائيات والمؤتمرات والموءامرات) إلى تراجع الدعم العربي وتهميش السلطة.

- (الفسيفساء المُهشّمَة): لبنان ثالث أصغر البلاد العربية ولكنه أكثرها صَخبا وضَجيجا وفُرَصا، أكثرها صخبا من حيث نمط العيش، وأكثرها ضجيجا من حيث عِبء التعايش، فبالرغم من تركّز الحياة الصاخبة في العاصمة بيروت وضواحيها، إلا أن عِبء التعايش تتقاسمه جميع المناطق بصراعاته وتصدّعاته وتداعياته، فالتعايش الذي يُعبّر عنه بأنه: «توظيف المُتفق عليه في إدارة المُختلف فيه»

تم تقويضه تحت وطأة صراع الهويات والمصالح والمصائر والصغائر وعلى وقع التدخلات الأجنبية بسبب طغيان خطاب الهواجس والهلاوس على خطاب الحقوق والواجبات، الأمر الذي هشّم الاجتماعين الديني والسياسي، فلبنان الديني ينقسم إلى ١٨ طائفة معترفا بها ، واستراتيجيا ينقسم اللبنانيون بين المحورين الإيراني والعربي، وسياسيا يتوزعون على عشرات الأحزاب الدينية والعلمانية، ومدنيا يتوزعون على آلاف الجمعيات الممولة من الخارج، فعلى الضد من شعار دولة الرئيس صائب بك سلام «لبنان واحد لا لبنانان» سنة ١٩٦٠ يكاد أن يكون لكل لبناني لبنانه الخاص وزعيمه غير اللبناني. وأما من حيث الفُرَص فلبنان «تفصيل مفصلي» في المنطقة والعالم بسبب موقعه في نقطة تقاطع مشاريع الصادات الثلاثة «الصليبية» و«الصهيونية» و«الصفوية» من جهة، وبسبب الانتشار اللبناني النوعي والتنوعي والواسع في العالم من جهة أخرى ، وبسبب ريادة الطوائف اللبنانية في المشرق العربي، فاللافت أن نصارى لبنان هم أمكن نصارى العرب، فهم أكثر تمكينا من ملايين القبط في حوض النيل، وأكثر تمكينا من عشرات الطوائف النصرانية الممتدة من سهل نينوى في العراق إلى نهر بردى في سورية، فلبنان الدولة العربية الوحيدة التي يرأسها نصراني فضلا عن رئاسة مجلس القضاء الأعلى وقيادة الجيش وحاكمية المصرف المركزي، بالإضافة إلى نصف عدد النواب والوزراء والمدراء العامّين، فضلا عن الحضور الوازن في الأكاديميا والميديا والسوق، وشيعة لبنان أمكن شيعة العرب، فهم أكثر تمكينا من الشيعة الذين يحكمون العراق بالعمالة والفساد والطائفية والاستبداد، وجبل عامل هو العقل الديني للدولة الصفوية وموسى الصدر مؤسس ومُمأسس الشيعية السياسية العربية في لبنان والبحرين وأفريقيا والاغتراب الشيعي، و«حزب الله» أهم استثمار إيراني استراتيجي، بل إن دروز لبنان أمكن دروز العرب، فهم أكثر تمكينا من دروز سورية وفلسطين وقد كان «للحزب التقدمي الاشتراكي» دور أساسي في السلم والحرب. وأما سنة لبنان فقد كان لهم دور ريادي على المستوى الاقتصادي من «عدنان القصّار» مؤسس غرف التجارة والصناعة في لبنان والعالم العربي وصولا إلى الرئيس رفيق الحريري باني الجمهورية الثانية «جمهورية الطائف» فقد كان لاتفاق الطائف دور أساسي في إيقاف الحرب الأهلية، وإعادة إعمار البلد حجرًا وبشرًا وشجرًا، وإعادة لبنان إلى الخارطة العالمية.

اغتيال الطائف: شكّل اغتيال دولة الرئيس رفيق الحريري منعطفا خطيرا على طريق تصفية الحل العربي للأزمة اللبنانية وإحلال الهيمنة الإيرانية استكمالا ل«لهلال الشيعي» وما زال لبنان يهتز على وقع زلزال الاغتيال وما تلاه من الإنسحاب بالإكراه للجيش السوري ومن ثم التغوّل الإيراني على البلد.

يخوض لبنان وشعوبه (اللبناني والفلسطيني والسوري) مخاضا عسيرا للخروج من الانهيارات التي تشلّ قدرته والهيمنات التي تختطف إرادته، ومع دخول فلسطين والعالم زمن «طوفان الأقصى» تتدافع المخاطر والفرص، مع تعاظم الفرص بسبب كسر الغطرسة الصهيونية وارتفاع فرص لبنان على تحرير ما تبقى من أرضه والاستفادة من ثرواته. وكلنا أمل بالله وثقة بأمتنا وأنفسنا في استعادة العافية واستئناف دورنا في الريادة الداخلية والإقليمية والعالمية.

***

طوفان الأقصى

"لقطة" الحوثيين.. و"حارس الدمار"

(عملية الاستيلاء على سفينة "غالاكسي ليدر" كما بثها إعلام الحوثيين)

عبدالرحمن الحارث

كان المشهد الذي بثته قناة المسيرة الحوثية لعملية الاستيلاء على سفينة "غالاكسي ليدر" قبل شهر من الآن مثيراً للغرابة بعض الشيء؛ فقد ظهرت فيه فرقة كوماندوز محمولة جواً لميليشيات الحوثي، وهي تهبط على ظهر سفينة بملابس عسكرية أنيقة جداً، وبتصوير فائق الدقة، ومن كافة الزوايا من الجهات الأربع، والأعلى والأسفل[1] ، وبأسلوب يبدو هيوليودياً أكثر منه عملية إنزال حقيقية، حيث لم يبدُ أيا من طاقم السفينة موجوداً على ظهر السفينة أو مختبئاً حين اقتحم المهاجمون قمرة القيادة.

اللافت ليس في هذا المشهد فحسب، بل في إعادة تكراره يومياً في الفضائيات العالمية والعربية، كلما أعيد الحديث عن "هجمات الحوثيين" ضد سفن تابعة للكيان الصهيوني أو لملاك يهود أو تمضي في الطريق إلى فلسطين المحتلة.

ما تقدم، لا يدفع باتجاه نفي حدوث عمليات قام بها الحوثيين ضد أهداف بحرية من الأساس؛ فلاشك أن تهديداً حاصل الآن للملاحة البحرية في البحر الأحمر، وإنما سِيق لمحاولة ملاحقة مغزى تدفق أنباء على النحو التالي:

موقع أكسيوس ذكر أن حركة التجارة في ميناء إيلات توقفت بشكل شبه كامل.

---

[1] على نحو ما رصده محللون قبل ٩ أعوام لمشاهد الذبح الداعشية الأنيقة المتقنة جداً كذلك، ومن ثم تشككوا بالإخراج كله

إذاعة جيش العدو عن مدير ميناء إيلات: نحو ٨٥٪ من إيرادات الميناء تأتي من استيراد المركبات وتهديدات الحوثيين منعت وصول سفن تحمل ١٤ ألف مركبة منذ ١٥ نوفمبر.

صحيفة واشنطن بوست قالت إن بعض السفن المرتبطة بـ"إسرائيل" أصبحت تتخذ الطريق الأطول حول إفريقيا.

تايمز أوف إسرائيل قالت إن تكاليف التأمين لأصحاب السفن "الإسرائيلية" زادت بنسبة ٢٥٠٪ وبعض شركات التأمين لن تغطيها على الإطلاق.

إسرائيل هيوم تقول إن شركة الشحن زيم التابعة للاحتلال تعلن رفع سعر نقل الحاوية من ١٠٠ إلى ٤٠٠ دولار، بسبب تهديدات الحوثيين.

في لحظة كتابة هذه السطور لم تكن تمر في البحر الأحمر سوى سفينة واحدة فقط.

تمثل شركات شحن الحاويات التي أوقفت حتى الآن العبور مؤقتًا عبر المنطقة ٩٥٪ من إجمالي قدرة النقل المنتشرة عبر قناة السويس، وفقًا لشركة كلاركسون لخدمات الأبحاث المحدودة، وهي وحدة تابعة لأكبر وسيط سفن في العالم.

١٢٪ من التجارة الدولية تمر من قناة السويس بحسب إيكونوميست.

....

صور شحيحة، وأحداث "جسيمة"، والنتيجة خارج حدود المنطق!

في "طوفان الأقصى" حاولت "إسرائيل"، والولايات المتحدة، وإعلامهما المهيمن على مليارات البشر أن يخلص إلى نتيجة خارج المنطق: "منظمة إرهابية اختطفت مدنيين إسرائيليين آمنين؛ فلابد من الدفاع عن النفس! حسناً، وكيف يصير هذا؟ بتهجير مليوني إنسان، ودفن الأهالي تحت الرمال بعد دهسهم بالجرافات، وترك الأطفال الخدج دون هواء!".

في جنوب البحر الأحمر: ميليشيا تحكم بلداً لا يعترف العالم بها، تهدد تجارة "إسرائيل" البحرية، ثم تجارة العالم.. بدلاً من توجيه ضربات عسكرية لها، وإعلانها منظمة إرهابية، تعقد الولايات المتحدة سلسلة من المشاورات مع "الشركاء" من أجل وضع حد لهذا التهور الحوثي! وتمتنع "إسرائيل" حتى الآن عن توجيه رصاصة واحدة لتلك الميليشيا التي لا تتمتع بأي حصانة دولية. ثم تنحى الدول الكبرى ذات الأساطيل العملاقة للحل الأبعد: تشكيل تحالف للحراسة بدلاً من ردع الحوثي في خمس دقائق، وإجباره على الكف عن عملياته، وبالطبع بدلاً من الحل المنطقي: الحوثي أعلن حظره للسفن "الإسرائيلية" وفرضه الحصار على باب المندب وأنه لن يصل لميناء إيلات شيء ما لم تصل الإغاثة لغزة، والسؤال هو ما المانع في إرسال الغذاء للأهالي بدلاً من إنشاء تحالف من ٤٣ دولة باسم "حراس الازدهار" لحماية السفن.

لكن دعونا من المنطق؛ فهو غائب الآن في صعيد السياسة العالمية الظالم وإعلامها الغوغائي، ولنلتفت إلى ما هو أخطر في هذه المسألة، فنحن أمام مشهد ذي دلالات خطيرة:

الحوثي يشن هجمات ويرغي ويزبد، والتصريحات الأمريكية والبريطانية تدور حول معانٍ ثلاث:

الأول" أن هجمات الحوثي "غير مقبولة"، و"متهورة"، و"غير مشروعة"، و"يجب أن تتوقف"، وتمثل "مشكلة"، و"تهدد التجارة الحرة"، "قد ترفع أسعار النفط"، هكذا وردت تلك التعبيرات على لسان الناطق باسم البيت الأبيض جون كيربي، ووزير الدفاع الأمريكي لويد أوستن، ووزير الدفاع البريطاني جرانت شابس. وهي تعبيرات تجنبت تهديد الحوثيين، أو الحديث عن عملية عسكرية تستهدف مقرات الحوثيين.

الثاني: ضرورة تشكيل تحالف دولي لحماية السفن من دون تعريف حقيقي لمهامه، واتخاذ مسمى غامض نسبياً له لا يشير إلى أي معنى عسكري، بل أمني/اقتصادي محض (حراس الازدهار).

الثالث: التغاضي عن وصم الحوثيين بالإرهاب رغم أن جميع الأهداف "مدنية"، وتجنب وصفهم بالتنظيم أو الميليشيا غير الشرعية، غير المعترف بها دولياً، وبالتالي البناء على ذلك من نعت ما تقوم به بالقرصنة ونحوه، وتمهيد الطريق لإطاحتها أو "تدميرها" مثلما يشدد عليه عند الحديث عن منظمة مماثلة تمارس "النوع نفسه من الإرهاب" (في التقويم الصهيوني والغربي)، وهي حركة حماس.

حسناً، وما الجديد في ذلك؟ أوليست الولايات المتحدة هي التي مهدت الطريق لحكم الحوثي لليمن، بمنع الجيش اليمني من المقاومة، ودفعه إلى الاستسلام في معركة كانت لصالحه يوم سقوط صنعاء في العام ٢٠١٤م، وتساقطت فرق الجيش اليمني كأوراق الخريف في سبتمبر من هذا العام في واحدة من كبريات أحداث الخيانة في العالم العربي، التي تمت بإرادة أمريكية/إيرانية وتورطت فيها دول خليجية كذلك؟

أوليست هي الولايات المتحدة هي التي أجهضت عملية "عاصفة الحزم" في العام ٢٠١٥م، وامتنعت عن تزويد التحالف العربي ضد الحوثيين بإحداثيات صحيحة، ولوحت بملاحقة الحكومة اليمنية وحلفائها بدلاً من مقاضاة الحوثيين لارتكابهم جرائم حرب، وأخرى ضد الإنسانية؟ أوليست هي من حالت دون تمكن التحالف العربي من السيطرة على ميناء الحديدة في العام ٢٠١٨م، وأيدت إضفاء نوع من الشرعية على حكم الحوثيين، ثم إقامة سلام يمنح الحوثيين أكتاف اليمنيين فيما بعد؟

ثم..

أليس وزير الدفاع الأمريكي الجنرال أوستن، الذي عقد اجتماعاً افتراضياً مع وزراء وممثلي جيوش ٤٣ دولة لإعلامهم بإنشاء تحالف لا يضم أحداً من الدول المشاطئة للبحر الأحمر، هو نفسه الذي سبق له في أن رفض تدخل السعودية ضد المليشيا الحوثية وانقلابها في العام ٢٠١٥م، وكان آنذاك قائداً للقيادة المركزية الأمريكية، وأقر مساعدوه بأنه كان يدعم الحوثيين "بهدوء" في "الحرب على الارهاب"، بحسب فورين بوليسي؟

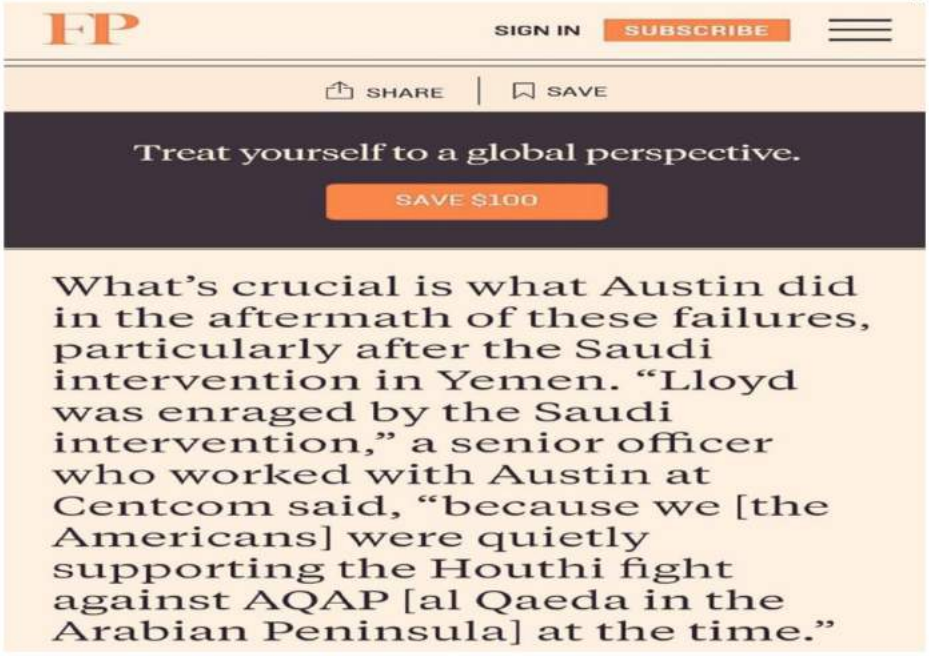
FP

SIGN IN SUBSCRIBE

SHARE | SAVE

Treat yourself to a global perspective.

SAVE $100

What's crucial is what Austin did in the aftermath of these failures, particularly after the Saudi intervention in Yemen. "Lloyd was enraged by the Saudi intervention," a senior officer who worked with Austin at Centcom said, "because we [the Americans] were quietly supporting the Houthi fight against AQAP [al Qaeda in the Arabian Peninsula] at the time."

(فورين بوليسي تشير إلى كبح أوستن عمليات ضد الحوثيين في العام ٢٠١٥م)

بلى، بيد أن الأهم لم يأتِ بعد:

إن ما يأتي تحديداً من الحوثي، وإيران، وردود الفعل الأمريكية و"الإسرائيلية"، ثم العالمية هو بعيد كل البعد عن التأثير في الحرب الدائرة في غزة وبعيدة عن لجم العدوان الصهيوني بشكل مباشر، ذاك أن ما قامت به قوات الحوثي لا يعدو كونه قد انحصر في هجمات صاروخية ومسيرات استهدفت الكيان الصهيوني، لكنها أخفقت في الوصول إلى أهدافها على النحو الذي كشف عن مثله ترامب في حملته الدعائية الحالية، حين علّق على قصف الإيرانيين لقاعدة أمريكية كرد على قتل قاسم سليماني، بقوله: "اتصل بنا الإيرانيون قالوا، وقالوا ليس لنا خيار، وعلينا أن نضربكم، لأننا نحترم أنفسنا، وفهمتهم لأننا ضربناهم، وقالوا سنضرب ١٨ صاروخاً على إحدى قواعدكم العسكرية، وأنتم تتذكرون تلك الليلة، كانت ليلة مثيرة للاهتمام، وكنت الوحيد الذي لم يكن متوتراً، لأنني كنت أعرف ماذا سيحصل، أخبرونا ألا نقلق: سنطلق ١٨ صاروخاً لكنها لن تصل إلى قواعدكم، إنها صواريخ دقيقة، صواريخ لا تخطئ الهدف". أما ما يتعلق بتهديدات الحوثي البحرية؛ فإنها مؤثرة بالفعل ظرفياً، لكن ليس على "الإسرائيليين" بصورة مباشرة.

اللافت حقيقة، أن تجارة "إسرائيل" البحرية لا يمر منها عبر ميناء الجنوبي لفلسطين المحتلة سوى ٣,٥٪ من تجارة الكيان البحرية، وأن ٩٦,٥٪ تقريباً من تجارته تمر عبر مينائي حيفا وأسدود على البحر

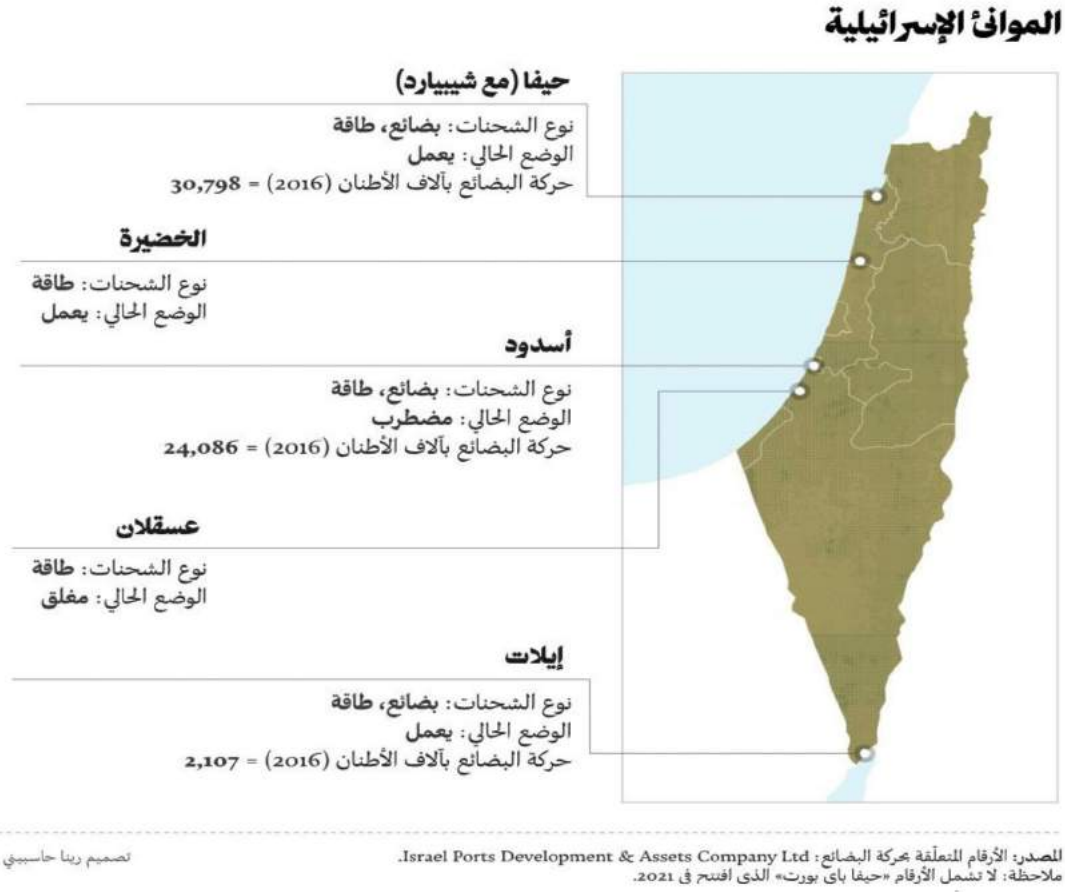

المتوسط، وفقاً للمصادر "الإسرائيلية" الرسمية، وبالتالي؛ فإن كل ما يفعله الحوثيون في هذا الصدد، هو ما تقدم أعلاه محض "مغامرة محسوبة"، لا تغضب الحلفاء الغربيين كثيراً، لكنها تحقق لهم عدة أهداف:

بروزهم كقوة مؤثرة في الإقليم، بما يمهد لها الطريق لنيل "الشرعية" في المفاوضات القادمة.

محاولتهم لتبييض وجهوههم في الداخل اليمني، والظهور كقوة غير طائفية بعد أن تورطتوا بجرائم كثيرة ضد السنة وعلمائهم على مدى الأعوام العشرة الماضية.

محاولة ميليشيا الحوثي القفز على المشاكل الداخلية التي تورطت فيها بإفقار اليمنيين، وتسببها في أزمات اقتصادية واجتماعية كثيرة لا يخرجها منها إلا بتصدير الأزمة للخارج، والعودة إلى مربع "الموت لأمريكا الموت لإسرائيل"، التي استقت منه "شرعيتها الثورية" أول مرة.

مد ذراع قواتها التأثيري نحو باب المندب، رغم عدم سيطرتها عليه ولا على ميناء المخا (يسيطر عليهما طارق عبدالله صالح ابن شقيق الرئيس اليمني الراحل، والمدعوم من الإمارات)، وفرض نفسها على معادلة أمن البحر الأحمر القادمة، كلاعب يمكنه أن يمثل تهديداً في حال أخرج من معادلتها.

أما بالنسبة لإيران، وغني عن البيان أنها ضالعة في توجيه الحوثيين للقيام بتلك "المغامرة"، فعمليات الحوثيين تمثل لها بوابة للعودة للإقليم بوجه غير طائفي، مساند لأكثر القضايا جماهيرية وتأثيراً لدى المسلمين (الأقصى وفلسطين)، بعد أن احترقت بوابة "حزب الله" تماماً، ولم يعد لها أي أثر يذكر في هذا الصدد بعد تورط الحزب مراراً في ارتكاب مجازر ضد المسلمين في سوريا والعراق ولبنان وحتى اليمن، وتلوث سمعته تماماً بتورطه في زراعة وتجارة وحماية المخدرات، ودوره المشين في إفلاس لبنان. ثم هو فرض لها كلاعبة مهمة في الإقليم كذلك، وفي واحد من أهم مضايق الملاحة البحرية في العالم.

الأخطر قد يأتي مع رغبة الولايات المتحدة و"إسرائيل" في إشراف مباشر أو شبه مباشر على أمن البحر الأحمر، وإقامة قاعدة عسكرية مطلة على المضيق في حده الشرقي، مثلما فعلت أكثر من دولة ذلك في جيبوتي، غرب المضيق، ويبدو أن جهات يمنية كقوات طارق صالح (التي اتخذت عدة مسميات سابقة ولاحقة، منها القوات المشتركة، وحراس الجمهورية، وقوات المقاومة الوطنية، وقوات العمالقة)، الممولة من الإمارات، والتي تتحرك تحت غطائها العسكري، قد عرضت تعاوناً أكبر مع الولايات المتحدة وربما "إسرائيل" في هذا الخصوص.

....

تهديد الحوثي للملاحة البحرية، لم يزعج "إسرائيل" كثيراً إلا بقدر تحفيز بعض الدول الأوروبية المتضررة من وقف الملاحة في البحر الأحمر تقريباً أو توجهها إلى رأس الرجاء، بما يحمله ذلك من تكاليف باهظة، تكبدتها الآن شركات ملاحة عديدة حولت العشرات وربما المئات من السفن باتجاه هذا الطريق الذي يزيد طول الرحلة البحرية بمقدار ما بين ١٨-٣٠ يوماً حول إفريقيا، تحفيزها للضغط على "إسرائيل" قليلاً من أجل وقف العدوان.

تهديد الحوثي يحرج كافة الدول العربية، ويقزمها أكثر مما بلغته قيمتها في سوق السياسة العالمية، والمفارقة أن عمليات الحوثي قد أضرت مصر بأضعاف ما أضرت به "إسرائيل"، ولا غرابة في تلك المفارقة، فعادة ما تسفر عنتريات إيران عن أضرار بالغة بالشعوب السنية حتى لو غلفتها بحافظة مقاوِمة!

د. محمد العبدة

متى يفيض طوفان الأمة..؟!

إذا كانت بعض الأمم تنشأ بسبب عوامل جغرافية أو سياسية أو نسبية ، ويدخل عليها دين من الأديان كإطار لها ، ولو كان دينًا محرفًا وباطلًا ، فإن الأمة الإسلامية خاصة نشأت بالدين الإسلامي وحده ، هو الذي جعلها تأتلف وتتناصر وتتعاون .

كان الخطاب القرآني إلى (الناس) كونهم ناسًا ليجتمعوا حول هذا الدين بصرف النظر عن لونهم أو جنسهم أو لغتهم . الله سبحانه وتعالى هو الذي أخرج هذه الأمة (كنتم خيرأمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) وهو سبحانه الذي اجتباها ولذلك فإن سلوك الفرد في هذه الأمة مستمد من العقيدة وعلاقات الأفراد فيما بينهم مستمد من العقيدة ، فيتلاحم أفرادها عبر شبكة من الروابط تحت أسماء : الهجرة والجهاد والإيواء والنصرة كما قال تعالى (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقًا لهم مغفرة ورزق كريم) وإن تحقيق هذه الأركان وهذا المطلوب في الآية الكريمة سيكون سببًا أيضًا للإستقرار والأمن والسلام والرزق الكريم . وإذا لم يحقق المسلمون هذا الهدي فإن الأضرار ستكون فادحة عليهم ، لإنه إذا لم تقم أمة الإيمان فسوف تتولى القيادة في الأرض أمة الكفر وتهيمن على مقاليد التوجيه والتخطيط وسوف يؤدي انتقال القيادة إلى أمة الكفر إلى ملئ الأرض بالفساد ، سواء كان الفساد بالسياسة أو الانهيارات الأخلاقية وشيوع الفواحش والصراعات العالمية وانتشار الأفكار الهدامة عدا عن استغلال خزائن الله والمقدرات المادية في الأرض .

لقد تعرضت الأمة الإسلامية لأزمات كبرى وزلازل وعواصف ولكنها بقيت ثابتة نظرًا لهذه الرابطة الإيمانية وهذا التناسق بين الإيمان والسلوك .

رابطة علماء المسلمين